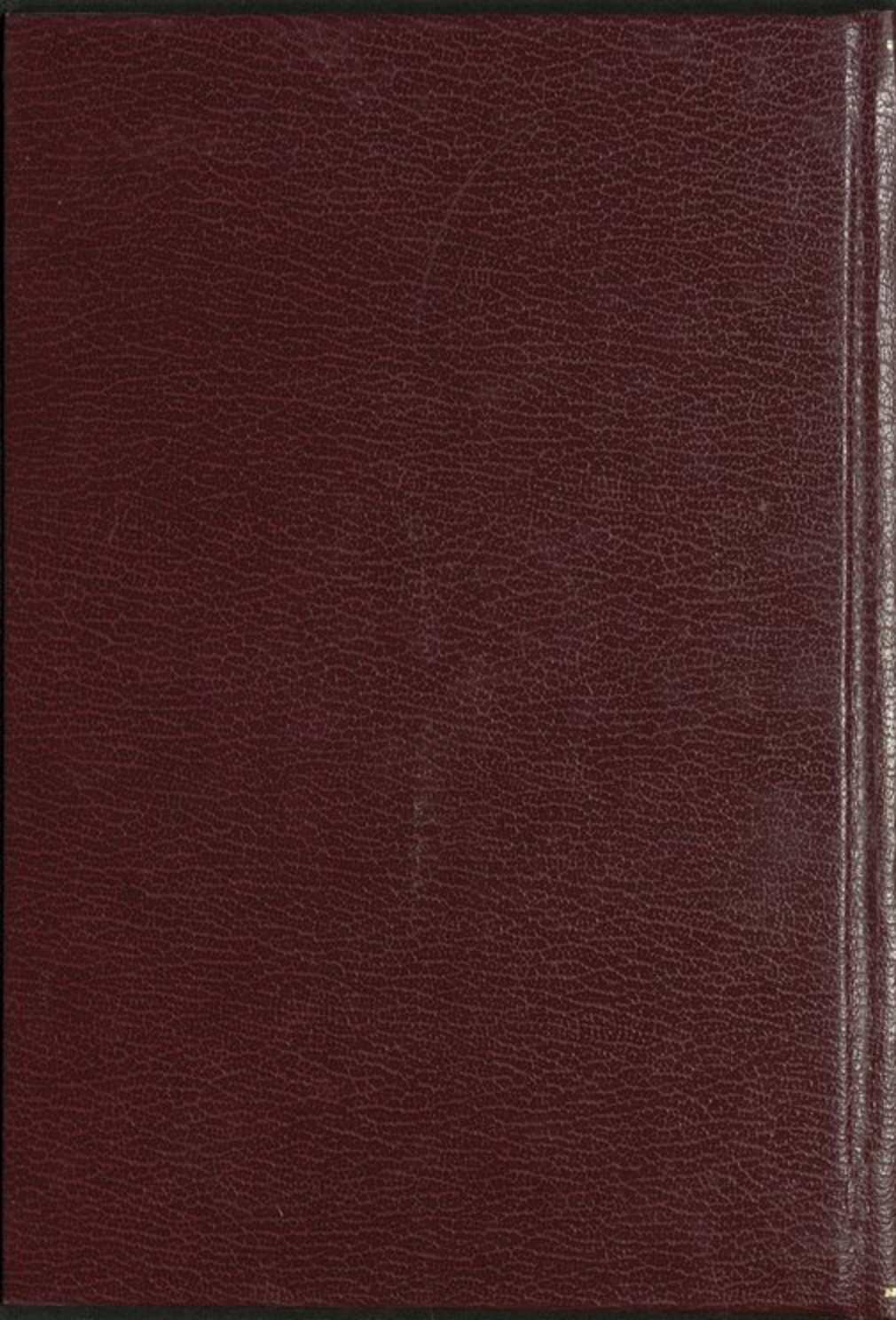


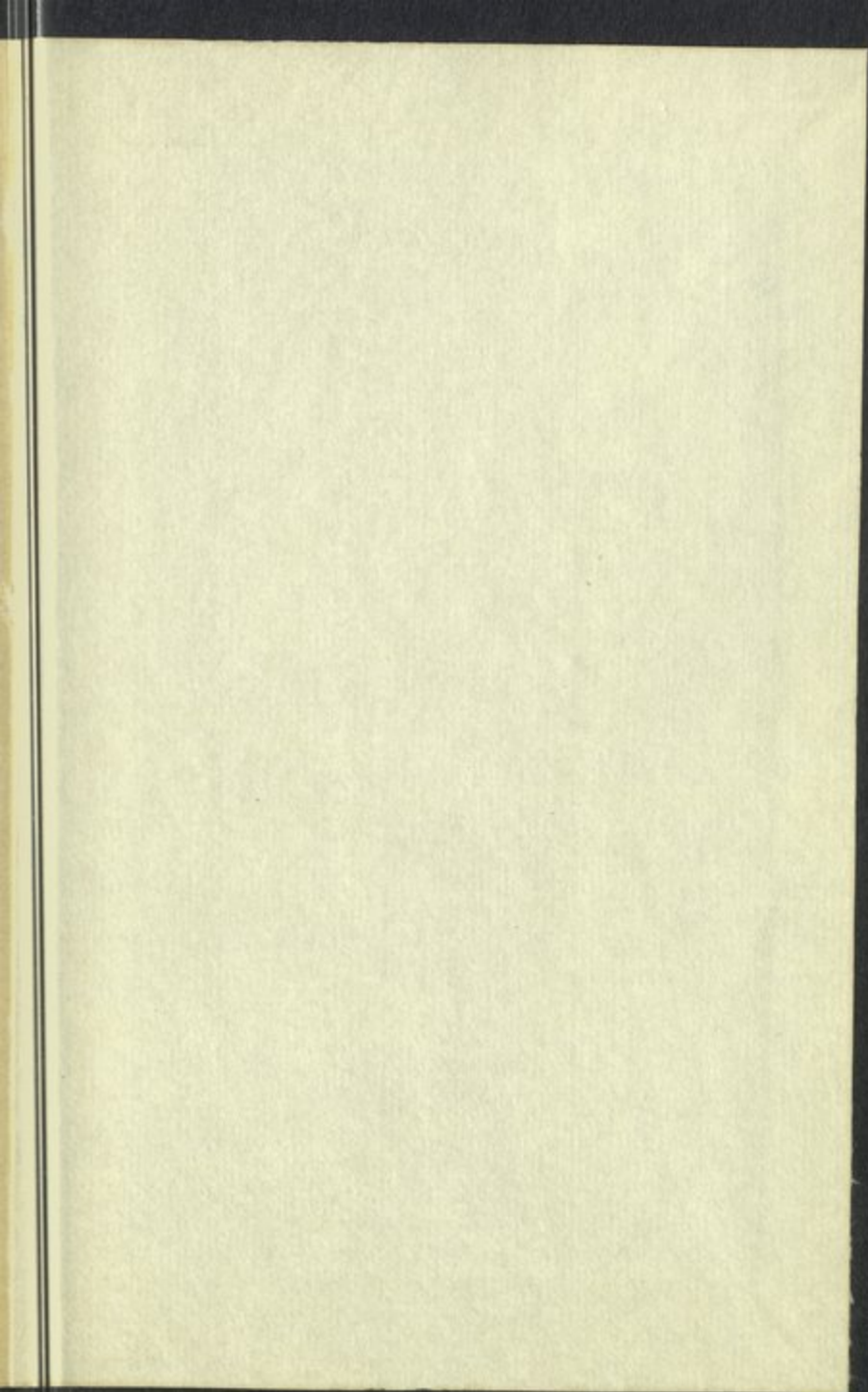


A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



LA. U. B. LIBRARY .



297.63
T112huA
C.1
حجرات المصطفى
صلى الله عليه وسلم

للإمام الحافظ المحدث محب الدين الطبري
المتوفى سنة ٦٩٤ هجرية

عنى بالتعليق عليه

رضوان مجتهد رضوان

مطبعة دار الكتب التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بصر
بصاحبها: مصطفى محمد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ

مطبعة مصطفى محمد
مطابع الكتب التجارية الكبرى بصر

المحب الطبري ؟ *

الإمام المحدث المفق فقيه الحرم محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري ثم المكي الشافعي : مصنف الأحكام ولد (١) سنة خمس عشرة وستمائة

وسمع من أبي الحسن بن القيرواني وابن الجيزي وشعيب الزعفراني وعبد الرحمن بن أبي حرمي وجماعة

وتفقه (٢) ودرس وأقوى وصنف (٣) وكان شيخ الشافعية ومحدث الحجاز

• نقلا عن تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي

(١) ولد بمكة المكرمة (٢) تفقه بقوص على الأستاذ مجد الدين القشيري والد شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد (٣) أجل صنف كتباً كثيرة في غاية النفاة والحسن . منها : الأحكام قال تقي الدين السبكي : الكتاب المشهور المبسوط دل على فضل كبير . وشرح التفتية للإمام أبي إسحاق الشيرازي والقرى لقاصد أم القرى بدار الكتب المصرية نسخة خطية والرياض النظرة في مناقب العشرة طبع بالقاهرة . والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين طبع في حلب وذخائر العقبي في فضائل ذوى القرى بدار الكتب المصرية نسخة خطية . ومختصر في الحديث مرتب على أبواب التنبية وغير ذلك

روى عنه الديلمى - من نظمه وأبو الحسن بن العطار وأبو محمد
ابن البرزالي وآخرون (١) وكان إماما صالحا زاهدا كبيرا الشأن
روى عنه ولده قاضى مكة : جمال الدين محمد وحفيده الإمام مجد الدين
قاضى مكة وكتب إلى بمروياته
توفي في جمادى الأولى (٢) سنة أربع وتسعين وستمائة

(١) وآخرون من هؤلاء السلطان المظفر صاحب اليمن فإنه استدعاه لسمع
منه الحديث فرحل إليه وأسمعه فيما أسمعه الأحكام وقد كتب في أثناء إقامته
قصيدة يتشوق بها إلى مكة منها :

مريضك من صدودك لا يعاد به ألم لغيرك لا يعاد
وقد ألف التداوى بالتداني فهل أيام وصلكم تعاد؟
ومنها :

لما الله العواذل كم يلحوا وكم عذلوا فما أصغى وعادوا
ولو لمحو من الأحباب معنى ! لما أبدوا هناك ولا أعادوا
ومنها :

أريد وصالها وتريد بعدى فما أشقى مريدا لا يراد
(٢) توفي في جمادى الأولى قال الجلال السيوطى : توفي في جمادى الآخرة وقال
في شذرات الذهب : توفي في جمادى الآخرة على الصحيح ، وحكى البرزالي أن
ولده توفي بعده في ذى القعدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون .
والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد خاتم النبيين وعلى
آله وصحبه أجمعين

وبعد فلما وفق الله لتجريد أحاديث المناسك من الكتب الستة :
البخارى ومسلم والترمذى وسنن أبى داود والنسائى والموطأ ومن
غيرها : مما نهت على أصله المخرجة منه ^(١) وجمعتها فى الكتاب
الموسوم : « بالقرى . لقاصد أم القرى » استخرت الله سبحانه
واستخرجت منه صفة حج النبى صلى الله عليه وسلم مما اتفق عليه
وما اختلف فيه . جامعاً بين المختلف بقدر الإمكان . عازياً ما روى مما
لم أخرجه فى الكتاب المذكور إلى أصله وعلامة انتهائه دائرة فيصلا
بينه وبين ما بعده . منها على ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من
أحكام الحج فى غير حجته . وما أشكل على أمره : هل كان فى حجته

(١) أى فى آخر كل حديث أو أحاديث

أم لا؟ من قول أو فعل ذكرته ورددت أعلم فيه إلى الله سبحانه
وتعالى. والله المستول أن يجعل ذلك وسيلة إلى أجزل ثواب وأحسن
مآب بمنه وكرمه

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج وكانت
فريضة الحج نزلت في سنة ست. وقيل: خمس، وقيل: تسع، والاول
هو المشهور. والوجهان الآخران حكاهما عياض في: «الإكمال»
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحج قبل المبعث وبعده قبل
نزول فرض الحج تليه مع قومه. ذكره أبو سعد في: «شرف
النبوّة» وغيره

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ست معتمراً
وأحرم من ذى الحليفة^(١) فلما بلغ الحديبية^(٢) وصدّه المشركون ثم
صالحوه على أن يعود من العام المقبل معتمراً ويخلون بمكة ثلاثة أيام
وليلاتها ويصعدون رؤوس الجبال: فحل من إحرامه ونحر سبعين

(١) ذى الحليفة «بضم الحاء المهملة وفتح اللام وسكون الياء. المنة من تحت
وبالفاء»: ميقات أهل المدينة على وهي نحو ستة أميال منها

(٢) الحديبية «بضم الحاء وفتح الدال وتخفيف الياء»: قرية على نحو مرحلة من مكة

بدنة كان ساقها (١) ورجع إلى المدينة

فلما كان في قابل أحرم بالعمرة من ذى الحليفة في ذى القعدة وأتى مكة وأقام بها ثلاثة أيام وفرغ من عمرته وأنفذ إليهم عثمان بن عفان فقال : إن شئتم أقمت عندكم ثلاثاً آخر وأعرست بأهلى (٢) وأولمت لكم - وكان تزوج ميمونة الهلالية قبل عمرته ولم يدخل بها فقالوا : لا حاجة لنا في وليمتك اخرج عنا ! وقيل : إنه جاءه بعضهم وسأله الخروج فقال له ذلك فأجابه عليه ويجوز أن يكون أرسل إليهم ثم جاءه بعضهم ولا تضاد بينهما - فخرج آخر اليوم الثالث حتى أتى سرف (وهى على عشرة أميال من مكة) وأقام ثلاثاً وأعرس بأهله ثم سار إلى المدينة

فلما كان سنة ثمان من الهجرة ونقض أهل مكة العهد : خرج صلى الله عليه وسلم في رمضان إلى مكة فافتتحها صلحاً أو عنوة على الاختلاف فيه ودخل بغير إحرام وأقام بها أربعة عشر يوماً ثم

(١) البدنة : البعير ذكر أو أنثى

(٢) أعرست بأهلى : أى دخلت بها

خرج إلى حنين ^(١) ففتح الله عليه ثم خرج إلى الطائف ^(٢) وأقام عليها شهراً ثم تركها ورجع على دجناء ^(٣) ثم على قرن المنازل ^(٤) ثم على نخلة ^(٥) حتى خرج إلى الجعرانة ^(٦) فلحقوه بها وأسلموا وأحرم صلى الله عليه وسلم منها ودخل مكة معتمراً لثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة وفرغ من عمرته ليلاً ثم رجع إلى الجعرانة وأصبح بها كبائت ورجع إلى المدينة

واستعمل على الحج عتاب بن أسيد فأفرد وحج على ما كانت العرب عليه ثم بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر فأقام للناس الحج سنة تسع

(١) حنين : وادي بين مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً

(٢) الطائف : بلد معروف على مرحلتين من مكة في جهة المشرق

(٣) دجناء بالمد : والقصر اسم موضع

(٤) قرن المنازل : بفتح القاف وسكون الراء وفتح الميم : ميقات أهل نجد

وهو على مرحلتين من مكة

(٥) نخلة : بفتح النون وسكون الخاء المعجمة : هي نخلة اليمانية بينها وبين مكة ليلة

(٦) الجعرانة : بكسر الجيم وسكون العين وتخفيف الراء : موضع بين

الطائف ومكة وهو إلى مكة أقرب

وأفرد وأردفه بعليّ يؤذن بسورة براءة فلما كانت سنة عشر تجهز
صلى الله عليه وسلم

وأكثر هذا في الصحيح وما فيه من غيره خرج الدارقطني
والواقدي وأبو سعد وعياض كل منهم خرج طائفة منه

وأذن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج
فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلبس أن يأتهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم ويعمل مثل عمله

ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم مذ هاجر غير هذه الحجة
وحج قبل الهجرة حجتين . قال ابن حزم : فأصاب الناس جدرى
أو حصبة فمغت^(١) من شاء الله من الناس أن يمتنع من الحج معه
فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن عمرة في رمضان تعدل حجة
وذكر مسلم أن هذا القول كان لأُم سنان الأنصارية قال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم : ما منعك أن تحجى معنا ؟ قالت : لم يكن لنا
إلا ناضحان فحج أبولدها وابنها على ناضح^(٢) وترك لنا ناضحاً ننضح

(١) فمغت : أصل المغت الدلك والمرس بالأصابع فاستعير لوجع ذلك

(٢) الناضح : البعير الذى يستقى عليه الماء

عليه قال : فإذا جاء رمضان فاعتمرى فعمرة في رمضان تقضى حجة
أو حجة معي^(١)

ولعله صلى الله عليه وسلم صدر منه ذلك القول عند التوجه للحج
ثم قاله بعد ذلك لأم سنان . وقد روى أنه قال ذلك لعدة نسوة : أم
طليق ، وأم سليم ، وأم سنان ، وأم الهيثم ، وأم معقل

وخرج صلى الله عليه وسلم إلى مكة فأخذ على طريق الشجرة
وكان صلى الله عليه وسلم يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق
المعرس^(٢) وذلك لخمس بقين من ذي القعدة سنة عشر

قال الملا : وقيل إنه صلى الجمعة بالمدينة ثم صلى العصر والمغرب
والعشاء بذى الحليفة . وقيل : كان توجهه يوم السبت لخمس بقين
وصلى الظهر بذى الحليفة ركعتين ثم أحرم عند صلاة الظهر من يومه
ذلك قال الواقدي : وهذا هو الحديث الثابت عندى

(١) أى تجزئ عن أجرهما وهو معنى : « تعدل » فى الرواية السالفة وذلك كله
فى الأجر والثواب لافى الإجزاء عن الفريضة . قال الامام أبو الحسن القرطبي :
يريد فى الثواب . والفضل لا يدرك بقياس والله يؤتى فضله من يشاء
(٢) المعرس : موضع التعريس وهو نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة

وهذا يستقيم على ما نقله : أن الوقفة كانت بالسبت وأما على ما جاء في الصحيح أنها بالجمعة فلا يستقيم إلا أن يكون الشهر ناقصاً ويكون قوله : بقين على ما ظن لأعلى ما وقع قال ابن حزم : وكان يوم الخميس لست بقين والذي جاء في الصحيح : لخمس بقين

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة لما خرج أبادجانة الساعدي ويقال : سباع بن عرفة الغفاري

وخرج صلى الله عليه وسلم نهراً بعد أن ترجل وأدهن بأطيب دهن يجده حتى رأى ويصه في رأسه ولحيته ^(١) قال ابن حزم : وبعد أن صلى الظهر بالمدينة أربعاً وصلى العصر من ذلك اليوم بذى الحليفة (وهو واد من وادى العقيق) ركعتين وبات به ليلة الجمعة وهذا مغاير لما تقدم عن الواقدي أنه أحرم من يومه والصحيح

أنه بات غير محرم ليجتمع الناس إليه

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أتاني الليلة آت من ربي فقال : صل في هذا الوادى المبارك وقل عمرة في حجة

وطاف تلك الليلة على نسائه ثم اغتسل ثم صلى بها الصبح ، وطيبته

(١) الترجيل : تسريح الشعر ، والويص « بالصاد المهملة » : البريق واللعان

عائشة رضى الله عنها بيدها بذريعة^(١) وبطيب فيه مسك حتى كان
ويص الطيب والمسك في مفرقه صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث
وهو محرم

قال ابن حزم: إنه لم يغسل الطيب وقالت عائشة: كنت أطيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يطوف على نسائه ثم يصبح محرماً
ينضخ^(٢) طيباً

ولعلها طيبته بالذريعة بعد هذا الغسل ولم يرد أنه اغتسل للإحرام
بعد هذا الغسل غير أن الدارقطني روى عن عائشة رضى الله عنها
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يحرم غسل رأسه بخطمي
وأشنان^(٣) ولعله صلى الله عليه وسلم نوى بذلك الغسل رفع الحدث
وأداء العبادة وغسل رأسه فيه بخطمي وأشنان

ثم لبس صلى الله عليه وسلم رأسه بالغسل^(٤) وقلد بدنته نعلين وأشعرها

(١) الذريعة « بفتح الذا المفعلة » : قناب قصب طيب يجاء به من الهند
والمفرق « بكسر الراء وفتحها » : وسط الرأس وهو الموضع الذي يفرق فيه الشعر
(٢) أى يفوح (٣) الخطمي « بالكسر » نبت يغسل به الرأس
(٤) الغسل « بالغين المعجمة » على وزن كفل ما يغسل به الرأس من خطمي

في جانبها الأيمن. وسلت الدم عنها بيده. قال ابن حزم: وكان هدى تطوع.

وتجرد صلى الله عليه وسلم في إزار ورداء وصلى في مسجده. بذى الحليفة ركعتين وأوجب في مجلسه فأهل بالحج حين فرغ من ركعتيه وسمع ذلك منه أقوام منهم ابن عباس ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهل وأدرك ذلك منه أقوام وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالا^(١) فسمعوه أهل حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علا على شرف البيداء أهل وأدرك ذلك منه أقوام فقالوا: إنما أهل حين علا على شرف البيداء قال ابن عباس: وأيم الله لقد أوجب في مصلاه وأهل حين استقلت به ناقته وأهل حين علا على شرف البيداء

ونحوه يلبد به الشعر حتى لا ينتثر. والإشعار: أن تطعن البدنة في سنامها بموضع ونحوه حتى يسيل دمه إشعاراً بأنها هدى وقوله: سلت الدم عنها بيده أى أماطه بأصبعه

(١) أرسالا: أى أفواجا وفرقا و«البيداء» هذا: موضع بقرب الحليفة وشرفها الموضع المرتفع الذى يشرف منه عليها وأصل البيداء: المفازة لاشئ بها وأيم الله هو من أعاظ القسم كقولك لعمر الله وعهد الله

وكان إهلاله صلى الله عليه وسلم بالقران : بالحج والعمرة وكان يلي
بهما تارة وبالحج أخرى فمن ثم قيل : إنه كان مفردا ، وروى أنه
تمتع صلى الله عليه وسلم وذلك محمول على أمره به أو يكون لبي بالعمرة
كما لبي بالحج فظن أنه محرم بها وحدها

وذكر مسلم أنه صلى الظهر بذى الحليفة ثم دعا بناقته وأشعرها
وقلدها — كما وصفنا — ثم ركب راحلته فلما استوت به على
البيداء ^(١) أهل

وروى أبو ذر الهروى عن أنس رضى الله عنه قال : حج النبي
صلى الله عليه وسلم على رحل رث ^(٢) عليه قطيفة لا تساوى أربعة
دراهم وقال : اللهم اجعله حجا لارياء فيه ولا سمعة

وقال صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة : من أراد منكم أن يهل بحج
وعمرة فليهل ، ومن أراد أن يهل بحج فليهل ، ومن أراد أن يهل
بعمرة فليهل

وولدت بها أسماء بنت عميس الخثعمية زوج أبى بكر الصديق

(١) أى علت عليها (٢) الرحل : ما تركب عليه الإبل كالسرج للفرس

رضى الله عنهما محمد بن أبى بكر فأتى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يأمرها أن تغتسل وترجل ثم تهل بالحج وتصنع ما يصنع الحاج إلا أنها لا تطوف بالبيت وأهل رسول الله بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وأهل الناس بهذا الذى يهلون به فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً منه ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته . وروى أنه زاد « لبيك إله الحق لبيك » وأناه جبريل فأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية قال جابر رضى الله عنه : ونظرت إلى مد بصرى بين يديه : من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ^(١) وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله . وما عمل من شئ عملنا به وحج معنا النساء والصبيان وكنا نلبي عن النساء وزمى عن الصبيان وتمادى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء ^(٢)

والرث : الخلق البالى (١) أى بيننا (٢) الروحاء « بفتح الراء وسكون الواو وبالحاء المهملة » : موضع من عمل الفرع « بضم الفاء وسكون الراء »

رؤى بها حمار وحش عقير فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : دعوه فانه يوشك أن يأتي أصحابه فجاء البهزى — وهو صاحبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه فقسمه بين الرفاق ثم مضى حتى إذا كان بالاثنية ^(١) بين الرويثة والعرج إذا ظلي حاقف في ظل فيه سهم فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلاً أن يقف عنده لا يريه أحد من الناس حتى يجاوز وروى الملا في سيرته عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم أصبح يوم الأحد بمثل ^(٢) ثم راح فعشى بشرف السبالة وصلى

بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلاً وقوله رؤى بها حمار وحش عقير : أى معقور مجروح لم يمت بعد (١) الاثنية : موضع معروف في طريق مكة . والعرج « بفتح العين وسكون الراء المهملة ثم جيم معجمة » : قرية جامعة من عمل الفرع على أيام من المدينة . والرويثة اسم موضع قريب منهما . وحاقف : أى مثخن كأنه نائم قد انحنى في نومه . ويريه : أى يتعرض له قال الاصبلي : وإنما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حمار البهزى ورد حمار الصعب لانه ظن أن الصعب صاده من أجله فتركه على التنزه والبهزى كان متكسباً فحمله على عادته فقبله وأمر بقسمه بين الرفاق . وكذلك إباحة حمار أبى قتادة لصيده إياه لنفسه ولاصحابه المحليين (٢) ملل : موضع معروف بقرب المدينة وقوله رضى الله عنه « ثم راح فعشى

بشرف المغرب والعشاء وسار منها فصلى الصبح بعرق الظبية ^(١) بين
الروحاء والسيالة في المسجد الذي عن يمين الطريق ثم نزل الروحاء
فإذا حمار عقير وذكرت قصة الهزى قالت : ثم راح من الروحاء
فصلى العصر بالمنصرف ^(٢) وصلى المغرب والعشاء بالمعشى وتعشى به
وصلى الصبح بالإثاية وأصبح بالعرج فنزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجلست عائشة رضى الله عنها إلى جنبه وجلست أختها
أسماء رضى الله عنها إلى جنب أبي بكر رضى الله عنه

وقال الملا عن أسماء رضى الله عنها : فنزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم في فناء منزله وجاء أبو بكر رضى الله عنه فجلس إلى جانبه
وجاءت عائشة رضى الله عنها فجلست إلى جانبه الآخر وجئت أنا
فجلست إلى جنب أبي بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وزمالة أبي بكر واحدة ^(٣) مع غلام لأبي بكر قالت أسماء :

بشرف السيالة أى نزل بها بالعشى وهو : ما بين زوال الشمس إلى غروبها
(١) العرق : الجبل الصغير . و « الظبية » بضم الظاء : موضع على ثلاثة أميال
من الروحاء فيه مسجد النبي صلوات الله وسلامه عليه

(٢) المنصرف : موضع بين الحرمين .

(٣) الزمالة : ما يحمله المسافر من طعام ومتاع . والزمالة البعير الذى يحمل

وكان أبو بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة : إن عندى بعيرا
نحمل عليه زادنا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : فذلك إذن ، وأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بزاد : دقيق وسويق ^(١) فحمل على بعير
أبى بكر ، وكان لأبى بكر غلام يقال له : عقبة فقال له : اركبه قالت :
فلما كان بالإثاية عرس الغلام وأناخ البعير فغلبته عيناه فنام فقام البعير
يجر خطامه آخذاً فى الشعب ! وانتبه الغلام فقام يطلبه آخذاً على
طريق يظن أنه سلكها وهو ينشده ^(٢) فلا يسمع له بذكر وجلس
أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه وطلع عليه وليس معه بعيره ! فقال : أين
بعيرك ؟ قال : أضلته البارحة ^(٣) فقال أبو بكر : بعير واحد تضله !
ويحك ! لو لم يكن إلا أنا لهان على الأمر ولكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فطفق يضربه بالسوط ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبسم وهو يقول : انظروا هذا المحرم ماذا يصنع ؟ !

وذكر ابن حبان أن النبي حج على رجل وكانت زاملته
فيحتمل أن يكون بعض الزمالة عليها وبعضها مع زمالة أبى بكر

تلك الزمالة (١) السويق : ما يعمل من الحنطة والشعير

(٢) أى يطلبه ويسأل عنه (٣) أى فقدته

ولما بلغ آل فضالة الأسليين أن زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت حملوا إليه جفنة من حيس^(١) فأقبلوا بها حتى وضعوها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : هلم يا أبا بكر فقد جاء الله بغذاء طيب وجعل أبو بكر يغتاض على الغلام ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هوّن عليك يا أبا بكر فإن الأمر ليس إليك ولا الينامعك وقد كان الغلام حريصاً على أن لا يضل بعيره ، وهذا خلف ما كان معه ، ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وأبو بكر رضى الله عنه ومن كان يأكل معه حتى شبعوا

فأقبل صفوان بن المعطل — وكان على ساقة الناس^(٢) والبعير معه وعليه الزمالة فجاء حتى أتاخ على باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : انظر هل تفقد شيئاً من متاعك ؟ فقام فنظر فقال : ما فقدت إلا قعباً كنا نشرب فيه فقال الغلام : هذا

(١) الحيس : هو الطعام المتخذ من التمر والاقط والسمن وقد يجعل عوض الاقط : الدقيق أو الفئيت (٢) الساقة : هم الذين يسوقون الركب ويكونون من ورائه يحفظونه

القعب معي فقال أبو بكر لصفيان رضي الله عنهما : أدى الله عنك الأمانة وجاء سعد بن عبادة وابنه قيس رضي الله عنهما ومعهما زاملة تحمل زاداً يؤمان رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بباب منزله قد رد الله عليه زاملته فقال سعد : يا رسول الله بلغنا أن زاملتك ضلت الغداة^(٢) وهذه زاملة مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد جاء الله بزاملتنا فارجعاً بزاملتكما بارك الله عليكما ثم قال : أما يكفيك يا أبا ثابت ما يصنع بنا في ضيافتك مذنزلنا المدينة ؟ فقال سعد : المنة لله ولرسوله والله يا رسول الله : الذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع فقال : صدقتم يا أبا ثابت أبشر فقد أفلحت . إن الأخلاق بيد الله عز وجل فمن أراد أن يمنحه منها خلقاً صالحاً منحه ولقد منحك الله خلقاً صالحاً فقال سعد : الحمد لله هو فعل ذلك

ثم رحل النبي صلى الله عليه وسلم فنزل السقيا يوم الأربعاء^(٣)

(١) يؤمان : أى يقصدان (٢) الغداة : أول النهار

(٣) السقيا «بضم السين المهملة وسكون القاف : موضع معروف بين مكة والمدينة . والابواء «بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة» : جبل بين مكة والمدينة وعنده

ثم أصبح بالابواء فأهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحش يقطر
دماً فبرك عليه وقال : إنا رددناه إليك لآنا حرم

روى بعض حديث إضلال الزاملة أبوداود وتابعه الملا في سيرته
وروى عن معاوية أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالابواء يأكل ليا مقيش^(١) أهدى إليه من ودان ثم قام فصلى ولم
يتوضأ قال : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسجد الذي يبطن
وادي الابواء على يسارك وأنت متوجه إلى مكة ثم راح رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الابواء

وروى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالمسجد الذي
حين يهبط من ثنية غزال^(٢) على الجحفة ثم راح منها فصلى في المسجد

قرية تنسب إليه . وقوله صلوات الله عليه : « إنا رددناه إليك لآنا حرم » أى محرمون
وفي الحديث دلالة على أن الهبة لا تدخل في ملك الموهوب له إلا بالقبول وأن قدرته
على ملكها لا يصيره مالكا لها وفي اعتذاره صلى الله عليه وسلم للصعب دلالة على
كرامة رد الهدية على الصديق لما يقع في نفسه (١) اللياء « بالكسر والمد » : حب
كالخص شديد البياض . والمقيش « بضم الميم وفتح القاف » : المقشور . و« ودان
بفتح الواو والdal المهملة المشددة » : قرية جامعة قريبة من الجحفة (٢) الثنية
في الجبل كالعقبة فيه أو هى الطريق العالى فيه .

الذى يحرم منه خارجا من الجحفة والمسجد الذى دون خم عن
يسار الطريق فلما كان فى بعض الطريق اصطاد أبو معاذ حمارا وحشيا
ولم يكن محرما فأحله النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بعد أن سأل :
هل أمره أحد منكم أو أشار إليه ؟ قالوا : لا قال : فكلوه وأكل منه
صلى الله عليه وسلم . وفى رواية أن ذلك كان بالقاحه وهو موضع
بينه وبين مكة ثلاث مراحل مما يلى مكة

واستهل رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال ذى الحجة ليلة الخميس
ليلة الثامن من خروجه فى قول ابن حزم والسابع فى رواية غيره
وفى مسند ابن حنبل : أنه لما مر بوادى عسفان فى حجته قال :
يا أبا بكر أى واد هذا ؟ قال : وادى عسفان قال : لقد مر به هود
وصالح على بكرين أحمرين خطمهما الليف وأزرهم العباء وأرديتهم
النمار ^(١) يلبون يحجون البيت العتيق

فلما كان بسرف حاضت عائشة — وكانت قد أهلت بعمره

والجحفة بضم الجيم وسكون الحاء : قرية كبيرة على طريق المدينة على سبع
مراحل من المدينة وثلاث مراحل من مكة وهى ميقات أهل مصر والشام والمغرب
(١) النمار : جمع نمرة وهى الشملة المخططة

وروى بحج — فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال :
ما يبكيك ؟ لعلك نفست ^(١) فقالت : نعم ! فقال : هذا شيء كتب به الله
على بنات آدم : افعل ما يفعل الحاج غير ألا تطوفى حتى تطهرى . وفي
رواية من روى إحرامها بالعمرة أنه قال لها : اغتسلى ثم أهلى بالحج
وقال صلى الله عليه وسلم بسرف : من لم يكن معه هدى فأحب أن
يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدى فلا

وفي رواية : أن أمره بالفسخ كان بمكة وقال لهم : أحلوا من
إحرامكم بطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وقصروا وأقيموا
حلالا حتى إذا كان يوم التروية ^(٢) أهلوا بالحج واجعلوا التي قدمتم
بها متعة قالوا : كيف نجعلها متعة وقد سمينا الحج ؟ قال : افعلوا ما أمركم
به فلو لا أنى سقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم به ولكن لا يحل
منى إحرام حتى يبلغ الهدى محله ^(٣)

وفي رواية قال : حلوا وأصيبوا النساء ^(٤) قال : قلنا لما لم يكن

(١) أى حضت والنفاس يأتى بمعنى الحيض كما يأتى بمعنى الولادة

(٢) يوم التروية اليوم الثامن من ذى الحجة سمي بذلك لأن الحاج كما وا

يرتقون فيه الماء لما بعده (٣) أى الموضع والوقت الذى يحل فىهما نحره

وهو يوم النحر بمنى (٤) أى أخرجوا من إحرامكم وباشروا حلالتكم

بيننا وبين عرفة إلا خمس ليال أمرنا أن نقضى إلى نساءنا فنأتى عرفة
تقطر ماذا كبرنا المنى ^(١) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد علمتم أنى
أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ، ولولا هدى لحملت كما تحلون ولو استقبلت
من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى : فخلوا فخللنا وسمعنا وأطعنا فقال
سراقة بن جعشم : يا رسول الله لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال : للأبد
ولعل الأمر بالفسخ تكرر منه صلى الله عليه وسلم لتخلف
بعضهم عنه أو تأكيدا لما أظهروا الكراهة لذلك

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرم نزل بذى طوى ^(٢)
فبات بها ليلة الأحد عند ابن حزم لأربع خلون من ذى الحجة
وروى الملا فى سيرته أنه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت

(١) كناية عن قرب الجماع وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : لو استقبلت
من أمرى ما استدبرت أى لو علمت قبل إحرامى حرصكم على التحلل عند تحلى
لم أسق الهدى وإنما أراد صلى الله عليه وسلم بهذا القول تطيب قلوب أصحابه
فإنه كان يشق عليهم أن يحلوا وهو محرم فقال لهم ذلك لئلا يجدوا فى أنفسهم
وليعلوا أن الأفضل لهم قبول ما دعاهم إليه وأنه لولا الهدى لحل من إحرامه
(٢) ذى طوى « بفتح الطاء على الألفصح والواو المخففة » : موضع عند باب
مكة بأسفلها فى صوب طريق العمرة المعتادة ويعرف اليوم بآبار الزاهر

بقديد^(١) وصلى في المسجد المنشال وصلى في المسجد الذى أسفل من
لفت^(٢) وكان يوم الأحد بعسفان ثم راح من عسفان^(٣) فلما كان
بالغميم^(٤) اعترض له المشاة فصفوا صفوفا وشكوا إليه المشى فقال :
استعينوا بالنسلان^(٥) ففعلوا ذلك فوجدوا به راحة وكان يوم
الاثنين بمر الظهران^(٦) فلم يبرح منها حتى أمسى وغربت له الشمس
بسرف فلم يبرح منها حتى أتى مكة فلما بلغ الشيتين بات بين كداء^(٧)
وكدى ثم أصبح يوم الثلاثاء

- (١) قديد «بضم القاف وفتح الدال» : موضع بين مكة والمدينة والمنشال : المرتفع
- (٢) لفت « بفتح اللام وسكون الفاء وفتحها » : ثنية بين مكة والمدينة
- (٣) عسفان « بضم العين وسكون السين المهملة » : قرية جامعة بين مكة
والمدينة على نحو مرحلتين من مكة
- (٤) الغميم « بفتح الغين المعجمة وكسر الميم » : وادي بين مكة والمدينة بينه
وبين مكة نحو مرحلتين
- (٥) النسلان « بفتح النون والسين المهملة » : الإسراع في العدو
- (٦) مر الظهران : مر « بفتح الميم وتشديد الراء » : قرية ذات نخيل وثمار
وزرع ومياه والظهران « بفتح الظاء المعجمة وسكون الهاء » : إسم للوادي بينه
وبين المدينة احد وعشرون ميلا أو ستة عشر ميلا
- (٧) كداء « بفتح الكاف والمد » : الثنية التي بأعلى مكة عند الحجون . وكدى

وهذا مغاير لما رواه ابن حزم . وروى الملا من طريق آخر أنه دخل يوم الأحد وهو الأشبه لأن في الصحيح : أنه دخل لأربع خلون من ذى الحجة ، وفيه أن الوقفة كانت بالجمعة فيكون الهلال بالخميس والدخول يوم الأحد والله أعلم

وكان صلى الله عليه وسلم لا يقدم مكة إلا بات بنى طوى حتى يصبح ويغتسل بها ثم يدخل مكة نهارا وصلى الصبح على أكمة غليظة يستقبل فرضتى الجبل ^(١) الذى بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة فجعل المسجد الذى بنى ثم عن يسار المسجد الذى بطرف الأكمة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء يدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ثم يستقبل الفرضتين من الجبل

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة نهارا من أعلاها من كداء الثنية العليا التى بالبطحاء صبيحة اليوم المذكور

«بضم الكاف والقصر والتوين» : الثنية السفلى مما يلي باب العمرة
(١) ثنية فرضة : وهى الثنية المرتفعة من الجبل والأكمة : ما ارتفع من الأرض دون الجبل وقوله : بنى ثم «يفتح الثاء» : أى هناك

واستقبله صلى الله عليه وسلم أغيلة بنى عبد المطلب (١) فحمل
واحدا بين يديه وواحدا خلفه

وأتى صلى الله عليه وسلم البيت فاستلم الحجر الأسود ثم مشى على يمينه
وطاف سبعا فرمل ثلاثا (٢) ومشى أربعا قال ابن حزم : يستلم الحجر
الأسود والركن اليماني في كل طوفة ولا يستلم الركنين الآخرين
وروى ابن عمر رضى الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يستلم الحجر الأسود ويقبله

وروى يعلى بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مضطجعا
يبرد أخضر (٣) والله أعلم : هل كان ذلك في حجته صلى الله عليه
وسلم أو في بعض عمره ؟

وكان يقول بين الركنين اليمانيين . ربنا آتانا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ وفي رواية : فصلى ركعتين ثم قرأ
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى — ولعله صلى الله عليه وسلم قرأها

(١) الأغيلة : الصبيان (٢) الرمل : الإسراع في المشي

(٣) الاضطجاع : جعل الرءاء تحت الإبط اليمنى وطره على عاتق اليد اليسرى

مرتين قبل الصلاة وبعدها وقرأ في الركعتين بسورتي الإخلاص
قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وجعل المقام بينه وبين البيت
ثم رجع إلى الحجر الأسود فاستلمه

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قام بين الركن والباب فوضع
صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطا فالتفت إليه : هل كان
ذلك الوقت أو غيره أو في غير حجته ؟

ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ : إن الصفا
والمروة من شعائر الله « ابدؤا بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه
حتى أتى البيت فاستقبل القبلة ورفع يديه — والأنصار تحته
فوحده الله وكبره وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير : لا إله إلا الله وحده أنجز وعده
ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا
ثلاث مرات ثم نزل من الصفا إلى المروة حتى انصبت قدماه (١) دخل
في بطن الوادي

(١) أى انحدرت في بطن الوادي وهو المسعى

وروى أنه صلى الله عليه وسلم سعى حتى إن مئزره ^(١) ليدور من شدة السعى وهو يقول : اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا وروى أنه صلى الله عليه وسلم ركب في حجة الوداع في الطواف والسعى ليراه الناس ولا يشرف عليهم ^(٢) وليسألوه إن الناس غشوه ولعله صلى الله عليه وسلم لما كثرت الناس عليه في السعى ركب فإنه صلى الله عليه وسلم كان لا يصرف الناس بين يديه . قال قدامة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى بين الصفا والمروة على بعير لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ^(٣) خرج به البغوى ويكون ذلك بعد أن رآه من روى أنه كان ماشيا وأما طوافه راكبا فكان طواف الإفاضة والله أعلم

فلما كان آخر طواف على المروة قال صلى الله عليه وسلم إنى لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعتها عمرة فن

(١) أى إزاره والإزار : ما يوضع فى وسط المحرم

(٢) ويشرف على الناس : أى ليعلو عليهم إن الناس غشوه : أى ازدحموا عليه

(٣) هو نحو قول القائل : الطريق الطريق

كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فتمام سراقه بن
جعشم فقال : يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبك رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى وقال : دخلت العمرة
في الحج مرتين : لابل للأبد أبدا

وقد تقدم أنه قال ذلك حين قدم مكة فلعله المراد به لأن سعيه
كان حين قدوم مكة أو كر ذلك — كما ذكرناه — وكرر سراقه السؤال
استثباتا للحكم واستزادة فائدة ألا ترى أن جوابه الثانى فيه زيادة
على الأول

قال ابن حزم : وكان أبو بكر وعمر وطلحة والزبير ورجال من
أهل الوفر ^(١) ساقوا الهدى وكان أمهات المؤمنين لم يسقن الهدى
فأحللن وكن قارنات حجاً وعمرة إلا عائشة فإنها لم تحل من أجل
حيضها — كما تقدم وحلت أختها أسماء

وقدم على رضى الله عنه من اليمن بيدن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجد فاطمة عليها السلام ممن حل ولبست ثيابا صبيغا ^(٢)

واكتحلت فأنكر عليها ! فقالت : إن أبي صلى الله عليه وسلم أمرني بهذا ، قال : وكان على رضى الله عنه يقول بالعراق ؟ فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة للذى صنعت مستفتياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه ؟ وأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها ! فقالت : إن أبي صلى الله عليه وسلم أمرني بهذا ؟ فقال : صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال : قلت : اللهم إني أهل بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن معى الهدى فلا تحل قال : وكان جماعة الهدى الذى قدم به على رضى الله عنه والذى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة

قال ابن إسحاق : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعث علياً إلى نجران ^(١) فلقية بمكة وقد أحرم — ثم ذكر إنكاره على فاطمة ورد فاطمة رضى الله عنهما عليه قال : ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فطاف بالبيت وحل كما حل أصحابك قال : يا رسول الله إني

(١) نجران : بلدة من بلاد همدان من اليمن سميت باسم بانها نجران بن زيد

ابن يشجب بن يعرب بن قحطان

أهملت كما أهملت فقال : ارجع فحل كما حل أصحابك ! قال : يا رسول الله إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به عبدك ونيك محمد صلى الله عليه وسلم ! قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله حتى فرغا من الحج ، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما

وفي هذا زيادة بيان على ما رواه مسلم ، وليس بين هذا وبين قوله : ماقلت ؟ وقوله : إن معي الهدى فلا تحل تضاد لجواز أن يكون هذا بعد مراجعة على له لما أمره بالتحلل

وروى ابن إسحاق أيضاً أن علياً لما قدم من اليمن ليلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جنده الذي معه رجلاً من أصحابه ^(١) فعمد ذلك الرجل وكسى كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله عنه ^(٢) فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل ! قال : ويلك !

(١) أى جملة خليفة عليهم

(٢) الحلة : ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين والبز : أمتعة البزاز

ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس. قال: ويلك قبل أن تنتهي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: فانتزع الحلل من الناس فردّها في البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال: أيها الناس لا تشكروا عليا؟ فوالله إنه لأخشى في ذات الله أو في سبيل الله!!

وقدم أبو موسى الأشعري فسأله النبي صلى الله عليه وسلم كما سأل عليا فقال: لبيت بإهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال: فقد أحسنت طف بالبيت وبالصفاء والمروة وأحل فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى

ثم نزل صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة عند الحجون^(١) وهو مهمل بالحج ولم يقرب مكة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة

وروى الملا في سيرته عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: ألا تنزل بيوت مكة؟ فأبى صلى الله عليه

(١) الحجون «بفتح الحاء وضم الجيم»: الجبل المشرف على مسجد جبل الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد وهي مقبرة أهل مكة

وسلم واضطرب بالأبطح قبة ^(١) ولم يدخل بيتاً ولم يظله . والحجون
والأبطح متقاربان فلا تضاد بينهما

ودخل صلى الله عليه وسلم على سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه
يعوده بمكة من وجع أشفى فيه على الموت ^(٢) فبكى فقال صلى الله عليه
وسلم : ما يبكيك ؟ قال : قد خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت
منها كما مات سعد بن خولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اللهم اشف سعداً ثلاث مرات . فقال : يا رسول الله بلغ بى ما ترى
من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة أفأتصدق بثلى
مالى ؟ قال : لا قال : أفأتصدق بشرطه ؟ قال : لا الثلث والثلث كثير
إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة ^(٣) يتكففون
الناس ! ولست تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة
تجعلها فى فى امرأتك ^(٤) فقال سعد : يا رسول الله أخلف بعد أصحابى ؟
فقال : إنك إن تخلف فتعمل عملاً تبتغى به وجه الله إلا ازددت به

(١) واضطرب : أى ضرب « بالأبطح » أى مسيل وادى مكة بين مكة ومي
والبطحاء : الحصى الصغار (٢) أى أشرف عليه (٣) أى تركهم عالة فقراء
يتكففون الناس : أى يمدون أيديهم إلى الناس بالسؤال (٤) أى فى فيها
(٣ - حجة المصطفى)

درجة ورفعة : ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون
اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على عقبهم لكن البائس سعد
ابن خولة رثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن توفي بمكة
وأقام يوم الأحد المذكور والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس
والجمعة - ووافق يوم التروية : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الركن والمقام ^(١) فخطب الناس ووعظهم

وهذا مغاير لما جاء في الصحيح من أن الوقفة كانت بالجمعة
وخرج ابن المنذر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا كان يوم
التروية خطب الناس وأخبرهم بمناسكهم زاد الملا في سيرته : وأمرهم
بالخروج إلى منى من الغد وقال في خطبته : من استطاع منكم أن
يصلى الظهر بمنى من يوم التروية فليفعل

ثم توجه فيه إلى منى - وفي ذلك الوقت أحرم بالحج من الأبطح
كل من كان أحل . وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار إليها -
قال أبو سعد في « شرف النبوة » : ضحوة النهار وقال الملا : بعد

(١) أى الركن الذى فيه الحجر الأسود والمقام : مقام إبراهيم عليه السلام

مازاغت الشمس^(١) وطاف بالبيت أسبوعاً - متوجهاً إلى منى .
وكان إلى جانبه بلال بيده عود عليه ثوب يظلل به النبي صلى الله عليه
وسلم من الشمس ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في منى عند
دار الامارة اليوم

وما ذكره من الطواف مغاير لما جاء في الصحيح : من أنه
صلى الله عليه وسلم لم يقرب الكعبة بعد طواف القدوم حتى رجع
من عرفة فان صحت هذه الزيادة فيقضى بها لأن راويها معه زيادة
علم لم تبلغ ذلك الراوى

وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى باتفاق من الجميع : الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وبات بها ليلة يوم الوقفة وصلى بها الصبح ثم
مكث حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة^(٢)
فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قریش إلا أنه واقف
عند المشعر الحرام^(٣) كما كانت قریش تصنع في الجاهلية وكانت

(١) أى مالت عن وسط السماء . وقوله وطاف بالبيت أسبوعاً : أى سبعا

(٢) نمرة « بفتح النون وكسر الميم » : قرية شرقي عرفات وهي أخراب اليوم

(٣) المشعر الحرام « بفتح الميم » : جبل صغير بالمزدلفة

العرب يدفع بهم أبو سيارة على حمار عرى فأجاز صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، وأصحابه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم يهل المهل منهم فلا ينكر عليه ويكبر المكبر فلا ينكر عليه قال ابن عمر : منا المكبر ومنا المهل فأما نحن فمكبر

وذكر البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم لما صلى الصبح غداة عرفة قال لأصحابه : مكانكم ثم قال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد فكبر من غداة عرفة إلى صلاة العصر آخر أيام التشريق قال : وفي الإسناد ضعف

فلما زالت الشمس أمر بالقصواء فرحلت ^(١) فأتى بطن الوادي فخطب الناس وروى أنه خطبهم على منبره ، وروى على جمل أحمر ، وروى على بعير قائماً في الركابين

قال ابن إسحق : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : اسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي

(١) القصواء : ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم و «رحلت» أي شد عليها الرحل وهو ما يركب عليه كالسرج للفرس

هذا بهذا الموقف أبداً

أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم
 حكمة يومكم هذا وحكمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فسائلكم عن
 أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها
 وإن كل رباً موضوع ^(١) ولكن لكم رءوس أموالكم قضى الله أنكم
 لا تظلمون ولا تظلمون ! قضى الله أنه لا ربا ! وأن ربا العباس بن
 عبد المطلب موضوع كله ! وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع !
 وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان
 مسترضعاً في بني ليث ^(٢) فقتلته هذيل فهو أول ما أبداً به من دم الجاهلية
 « وعند مسلم : وكان مسترضعاً في بني سعد بن بكر بن هوازن
 فقتلته هذيل » قال ابن حزم : وذكر النسابة أنه كان صغيراً يحب
 أمام البيوت وكان اسمه آدم : فأصابه حجر غابر أو سهم غرب ^(٣)
 من يد رجل من هذيل فمات

(١) أي مردود وباطل (٢) الاسترضاع : طلب المراجعة ومنه قول الله
 تبارك وتعالى : « وأن تسترضعوا أولادكم » أي تطلبون المراضع لهم
 (٣) سهم غرب « بفتح الراء وسكونها وبالأضافة وبدونها : لا يعرف راميه

أما بعد : أيها الناس فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه
أبداً ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به : مما تحقرون من
أعمالكم فاحذروه على دينكم

أيها الناس : إن النسيء زيادة في الكفر ^(١) يضل به الذين كفروا
يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم
الله ويحرموا ما أحل الله ! وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً
منها أربعة حرم : ثلاث متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
مضر الذي بين جمادى وشعبان

أما بعد : أيها الناس فإن لكم على نساءكم حقاً وإن عليكم حقاً
لهن : علمتهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهون ^(٢) وعليهن أن

(١) كانت العرب تحرم القتال في أربعة أشهر ثلاث متوالية وهى ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب وكانوا ربما استطالوا تلك الأشهر المتوالية
رغبة في الحرب والقتال فأحلوا المحرم وحرروا صفرأ من العام القابل فغاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وأبطله كما عابه الله تبارك وتعالى في كتابه
(٢) أى لا يأذن لأحد من الرجال يدخل فيتحدث إليهن وكان الحديث من عادات

لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح^(١) فإن اتهمن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا

أيها الناس : اسمعوا قولي فإنني قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً يديناً : كتاب الله وسنة نبيه

أيها الناس : اسمعوا قولي واعقلوه : تعلمن أن كل مسلم أخ لمسلم فإن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس فلا تضلن أنفسكم ! اللهم : هل بلغت ؟ فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد

العرب لا يرون ذلك عيباً ولا يعدونه ريبة إلى أن نزلت آية الحجاب فصارت النساء مقصورات فنهى عن القعود اليهن وعن محادثتهن فهي عادة جاهلية بطلت وهامى الآن قد فشت فأعادت عصر الجاهلية الأولى ولا حول ولا قوة إلا بالله

(١) غير مبرح : أى غير مؤثر ولا شاق تأديبا لهن

وعند مسلم بعد قوله صلى الله عليه وسلم : قد تركت فيكم ما لن
تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله « ولم يذكر «وسنة نبيه»
وقال : وأتم تسألون عنى فما أتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد
بلغت وأديت ونصحت فمال بأصبعه يرفعها إلى السماء وينسكتها إلى
الناس (١) اللهم اشهد ثلاث مرات وأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يبلغ ذلك الشاهد (٢) الغائب
وأكثر هذه الخطبة في الصحيح بتقديم بعض الألفاظ وتأخير
بعض وسياق ابن إسحاق أتم

وروى ابن إسحاق أيضاً أن الرجل الذى كان يصرخ فى الناس
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف
قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أيها الناس إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟
فيقول له لم فيقولون : الشهر الحرام فيقول له قل لهم : إن الله قد حرم
عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم ثم يقول

(١) ينسكتها إلى الناس أى يميلها إليهم يريد بذلك أن يشهد الله عليهم

(٢) الشاهد : الحاضر

قل : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون
أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به قال : فيقولون : البلد الحرام قال : فيقول
قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم
كحرمة بلدكم هذا قال : ثم يقول : أيها الناس إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال فيقول له لهم فيقولون
يوم الحج الأكبر قال : فيقول : قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم
وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا

وروى ابن إسحاق أيضاً عن عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب
ابن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ورسول الله
واقف بعرفة فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله وإن لعبها ليقع
على رأسي فسمعتة وهو يقول : أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل
ذى حق حقه وإنه لا تجوز وصية لولد والولد للفراس وللعاهر الحجر
ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ^(١) ولا عدلاً

وذكر الملا في سيرته أنه صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بعرفة

(١) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية

إن هذا يوم الحج الأكبر وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في مثل هذا اليوم قبل غروب الشمس حين تغم بها رؤس الجبال كأنها عمامة الرجال على وجوههم وأنا ندفع بعد غروبها وكانوا يدفعون غدا عند المشعر الحرام قبل طلوعها حين تغم بها رؤوس الجبال كأنها عمامة الرجال على وجوههم وأنا ندفع قبل طلوعها فهدينا مخالف لهدى الأوثان والشرك . وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمعته صلى الله عليه وسلم يخطب بعرفات يقول : السراويل لمن لم يجد الإزار ، والخفاف لمن لم يجد النعلين يعني المحرم

وهذا القول وما في الحديثين اللذين رواهما ابن إسحاق قبله يجوز أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم في خطبته ببطن الوادي وليس من عرفة عندنا وأطلق عليه عرفة لقربه منها أو يكون قاله في الموقف عند الصخرات وهو الأظهر ويكون كرر بعض ألفاظ خطبته ببطن الوادي

فلما أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته أمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر . ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا (١)

فجمع بينهما صلى الله عليه وسلم في وقت الظهر بأذان واحد وإقامتين
ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته حتى أتى الموقف فجعل بطن
ناقسه القصواء إلى الصخرات ^(١) وجعل جبل المشاة بين يديه
واستقبل القبلة ونزل عليه بالموقف : « اليوم أكملت لكم دينكم »
الآية فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس من يوم عرفة وذهبت الصفرة
قليلا حتى غاب القرص يدعو الله تعالى رافعا يديه وكان أسامة
ردفه ^(٢) فذكر أن الناقة مالت به فتناول الخطام بإحدى يديه وهو
رافع يده الأخرى

وقال صلى الله عليه وسلم : أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت
أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير

وقال على رضى الله عنه أكثر ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم
يوم عرفة : اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول : اللهم لك

(١) هي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة والجبل « بالحاء المهملة
وسكون الباء » : التلّ اللطيف من الرمل الضخم وجبل المشاة : يجتمعهم
(٢) أى راكبا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي ^(١) ولك رب تراثي
اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر ، وشتات
الأمـر : اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح

وخرج البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أكثر دعاء
من قبلي من الأنبياء ودعائي يوم عرفة أن أقول : لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : اللهم اجعل
في بصري نورا ، وسمعي نورا ، وفي قلبي نورا : اللهم اشرح لي صدري
ويسر لي أمري : اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر ، وفتنة
القبر وشر ما يلج في الليل وما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح
ومن شر بوائق الدهور ^(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : وقفت ههنا وعرفة كلها موقف
قال ابن إسحاق : وقال صلى الله عليه وسلم : هذا الموقف للجبل الذي
كان هو عليه وعرفة كلها موقف وروى أبو ذر أن أسامة كان ردف
النبي صلى الله عليه وسلم حال قوله ذلك بعرفة

(١) المسآب : المرجع و التراث ، ما يخلفه الرجل لورثته

(٢) البوائق : جمع بائقة وهي الداهية

وأمر صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عن بطن عرفة . وهناك سقط رجل محرم من جملة الحجاج عن راحلته فأوقسته ^(١) فمات فقال صلى الله عليه وسلم : اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه في ثوبه ، ولا تمسوه بطيب ، ولا تخمروا وجهه ولا رأسه ، فإنه يبعث يوم القيامة مليا ، وروى ملبدا

وأرسلت إليه أم الفضل وروى ميمونة بلبن فشربه صلى الله عليه وسلم أمام الناس وهو على بعيره فعلموا أنه لم يكن صلى الله عليه وسلم صائما

وسأله صلى الله عليه وسلم أناس من أهل نجد كيف الحج ؟ فامر مناديا فتادى : الحج يوم عرفة من جاء ليلة جمع ^(٢) قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج . أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه

(١) أى كسرت عنقه فمات ، والسدر : ورق النبق ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ولا تخمروا وجهه ولا رأسه » أى لا تغطوهما فإنه يبعث يوم القيامة مليا .
(٢) جمع « بفتح الجيم وسكون الميم » : المزدلفة سميت بذلك لاجتماع الناس بها أو لجمعهم بين المغرب والعشاء فيها

ثم دفع صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد رضى الله عنهما ردفه
وقد شقق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله (١)
ويقول بيده النبي : أيها الناس السكينة السكينة ! كلما أتى جبلاً أرخى
لها قليلاً حتى تصعد وسار صلى الله عليه وسلم العنق وإذا وجد فجوة
نص ، وسمع صلى الله عليه وسلم وراءه زاجراً شديداً وضرباً للإبل
فأشار بسوطه وقال : أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البرليس بالإيضاع !
وذكر الملا أنه كان يقول : أيها الناس على رسلكم (٢) وعليكم

السكينة وليلن قويمكم عن ضعيفكم

وروى أبو ذر عن أبي سويد بن حجير عن خاله أنه لقي النبي
صلى الله عليه وسلم بين عرفة والمزدلفة قال : فأخذت بخطام ناقته
فقلت : ما يقربني من الجنة ويباعدني من النار ؟ فقال : أما والله لئن
أوجزت المسألة (٣) لقد أعظمت وطولت ! أقم الصلاة المكتوبة
وآذ الزكاة المفروضة وحج البيت وما أحببت أن يفعله بك الناس

(١) مورك الرجل : قطعة آدم تشبه الخدّة الصغيرة تجعل في مقدم الرجل
يتورّك عليها الراكب ، ويقول بيده : أى يشير بها ، وقوله : « وسار صلى الله
عليه وسلم العنق أى سيراً رفيقاً

(٢) الرسل : الاتّقاد (٣) أى : اختصرت في السؤال

فأفعله بهم وما كرهت أن يفعله الناس بك فدع الناس منه خل عن
خطام الناقة !!

فلما كان عند الشعب الأيسر ^(١) الذي دون المزدلفة وقال الملا
على يسرة الطريق بين المسأزمين ^(٢) ويقال له : شعب الإذخر نزل
صلى الله عليه وسلم فبال وتوضأ وضوءاً خفيفاً ولم يسبغ الوضوء
فقال له أسامة : الصلاة ؟ فقال : الصلاة أمامك ! ثم ركب صلى الله عليه
وسلم حتى أتى المزدلفة ليلة السبت على الأصح العاشرة من ذى الحجة
فتوضأ صلى الله عليه وسلم فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى
المغرب ثلاثاً ثم أناخ كل إنسان بغيره في منزله ولم يحله ثم أقيمت
العشاء فصلاها ركعتين ولم يصل بينهما شيئاً

وفي حديث جابر رضى الله عنه : أنه صلاهما بأذان وإقامتين
وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى المغرب بأذان وإقامة
ثم التفت فقال : الصلاة ثم صلى وقال : هكذا صليت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم

(١) الشعب : الطريق (٢) المسأزمان «بكون الهزمة وكسر الزاي» :
جبلان بين عرفات والمزدلفة بينهما طريق

ويجوز أن يكون قوله : ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب أى
بعد أذان يدل عليه حديث جابر وقول ابن عمر رضى الله عنهما :
الصلاة ؟ لا دلالة فيه على الاكتفاء به فى الدخول فيها دون الإقامة
بل يجوز أن يكون نبه بذلك عليها لغفلة وقعت من بعضهم أوحشاً على
المبادرة لثلاث فتوت فضيلة الموالاة ثم أقام غيره وصلى بعد ذلك

ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة حتى طلع
الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح مغلساً به (١) بأذان وإقامة
وهناك جاء عروة بن مضر السطائي فقال : إني جئت من جبل
طيء أكلت راحلتى (٢) وأتعبت نفسى ! والله ما تركت من جبل إلا
وقفت عليه فهل لى من حج ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : من شهد
صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً
أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه ومن لم يدرك مع الإمام والناس
فلم يدرك

(١) أى مصلياً بغلس وهو أعلى السحر

(٢) أى أتعبتها ، والتفت : هو ما يفعله المحرم إذا حلق كقص الشارب والأظفار

وتنف الإبط وحلق العانة

واستأذنته سودة وكانت امرأة ضخمة وأم حبيبة في أن يدفعا
من مزدلفة ليلا فأذن لهما وتمنت عائشة رضى الله عنها أن لو كانت
استأذنت ودفعت ليلا

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم سلمة فرمت قبل الفجر
ثم مضت فأفاضت فكان ذلك اليوم اليوم الذى يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عندها

وبعث صلى الله عليه وسلم بالثقل ^(١) وضعفة أهله من جمع بليل
وبعث فيهم ابن عباس وقال لهم : لا ترموا جمره العقبة حتى تطلع الشمس
وقدم أغيلة بنى عبد المطلب على حمراء وجعل يلطح بأخاذهم ^(٢)
ويقول : أى بنى لا ترموا جمره العقبة حتى تطلع الشمس !

قال ابن حزم : وأذن للنساء أن يرمين بليل ولم يأذن للرجال فى ذلك
لأضعفائهم ولألغير ضعفائهم . وذلك كله بعد وقوف جميعهم بجمع
وذكرهم الله تعالى بها

(١) الثقل : بفتح التاء المثناة والقاف ، المتاع والحشم

(٢) اللطح : بفتح اللام وسكون الطاء المهملة بعدها حاء مهملة : الضرب
الخفيف باليد

ثم ركب صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى الصبح حتى أتى قزح وهو المشعر الحرام وقال : هذا قزح وهو الموقف وجمع كلها موقف واستقبل القبلة ودعاه وكبره وهللله ووحدته ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً

ثم دفع صلى الله عليه وسلم قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل ابن عباس وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسبياً قال ابن حزم : وانطلق أسامة على رجليه في سباق قریش فمرت ظعن بجرين^(١) فجعل الفضل ينظر إليهن ! فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر فظفر ! فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه إلى الشق الآخر

واستفتته امرأة من خثعم فقالت : يا رسول الله إن فريضة الله على عباده أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم . وجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ! فلوى رسول الله

(١) ظعن « بضم الظاء والعين » : جمع ظعينة وهي الراحلة التي يظعن عليها يقال للراة ظعينة لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت

صلى الله عليه وسلم عنق الفضل^(١) فقال له العباس : لم لويت عنق ابن عمك يا رسول الله ؟ قال : رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما وجاءه رجل فقال : يا رسول الله إن أمى عجوز كبيرة إن حملتها لم تستمسك وإن ربطتها خشيت أن أقتلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت^(٢) لو كان على أمك دين أكنست قاضيه ؟ قال : نعم . قال : حج عن أمك !

وخرج ابن ماجه عن بلال بن رباح أنه صلى الله عليه وسلم قال له : يا بلال أسكت الناس أو أنصت الناس ! ثم قال : إن الله تطول عليكم فى جمعكم هذا فوهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل : ادفعوا بسم الله

وكان صلى الله عليه وسلم غداة جمع حين دفعوا يقول : عليكم بالسكينة وهو كاف ناقلته حتى دخل محسرا^(٣) وهو من منى قال :

(١) أى حوله إلى الشق الآخر (٢) أى أخبرنى

(٣) محسر : « بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد السين المهملة وكسرهما » : هو واد بين مزدلفة ومنى قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : إن وادى محسر من منى ، وحصى الخذف « بفتح الحاء المعجمة وسكون الذال المعجمة » قال الشافعى قدس الله سره : هو أصغر من الأنملة طولا وعرضا

عليكم بحصى الخذف الذى ترمى به الجرة وهو صلى الله عليه وسلم
يشير يده كما يخذف الإنسان وقرع صلى الله عليه وسلم ناقته نجبت^(١)
حتى جاوز الوادى . وروى أنه لما جاوز الوادى وقف وأردف
الفضل وقد صح أنه أردفه من المزدلفة كما ذكرنا فلعله
صلى الله عليه وسلم أنزله لما خبت الراحلة فى الوادى تخفيفا عنها
فلما جاوزه وقف وأردفه ، أو يكون الفضل نزل لالتقاط الحصى لما
دخل محسرا حين أمر به صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجرة الكبرى حتى
أتى الجرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة
ويجعل الحصى بين أصابعه

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس رضى الله
عنهما : هات القبط لى فلقط له حصيات من حصى الخذف ، فلما
وضعهن فى يده قال : بأمثال هؤلاء : إياكم والغلو فى الدين^(٢) فإنما
أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين !!

(١) خبت « بالخاء المعجمة » أسرع (٢) غلا فى الأمر : جاوز الحد فيه

وذكر ابن حزم ان ابن عباس رضى الله عنهما التقطها له من
مقامه الذى رمى منه

ورمى صلى الله عليه وسلم الجمرة من بطن الوادى ضحى من اليوم
المؤرخ على ناقة صهباء^(١) وليس ثم ضرب ولا طرد، ولا اليك اليك
ومعه بلال وأسامة أحدهما يقود به راحلته والآخر رافع ثوبه على
رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيه من حر الشمس وقال
حينئذ: خذوا عني مناسككم فإنى لا أدري لعلى لأحج بعد حجتي هذه؟
ولم يزل صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة حينئذ قطعها
ولا تضاد بين هذا وبين ماخرجه البيهقي من التكبير غداة عرفة
إن صح بل يحمل على أنه كان يكبر ويلبي ومعنى لم يزل يلبي: أى
إنه لم يقطع التلبية إلى أن رمى واستمر على التكبير إلى أن انقضى وقته
وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه لما رمى الجمرة
جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه وقال: هذا مقام الذى أنزلت
عليه سورة البقرة

(١) صهباء: أى حمراء يعلوها سواد

وفي رواية عنه أنه استبطن الوادي واستقبل الكعبة وجعل يرمي الحجرة على حاجبه الأيمن ثم قال : والذي لا إله غيره من ههنا رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة

ولعل الإشارة إلى بطن الوادي لا إلى كيفية الوقوف للرمي ، أو أشار في الأول إلى الكيفية ولهذا قال : مقام ، وفي الثاني إلى المكان ولهذا قال : من ههنا ولا تضاد بينهما ويكون ابن مسعود رمى مرتين أصاب في إحداهما كمال السنة وفي الأخرى بعضها إما الجراح الراحلة وكثرة الزحام أو عذر غير ذلك

ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المنحر^(١) فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده وأعطى عليا فنحر ما غبر منها وأشركه في هديه وأمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها وقال صلى الله عليه وسلم : نحرنا ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ، وكل فجاج مكة^(٢) طريق ومنحر

(١) المنحر : موضع نحر الهدى ونحوه . وقوله : فنحر ما غبر منها : أى ما بقى من البدن ، والبضعة : بفتح الباء ، القطعة من اللحم

(٢) الفجاج : جمع فج وهو الطريق

وروى أنه نحر في منزله ولعل منزله كان عند المنحر وروى أبوذر عن ابن عباس قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم في منحر إبراهيم الذي ذبح فيه الكبش فاتخذوه منحرا ، قال : وهو المنحر الذي ينحر فيه الخلفاء اليوم

وأمر صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه بقسمة لحوم الهدى وجلوده وجلاله وأن لا يعطى الجازر منها شيئاً ! وقال : نحن نعطيهِ من عندنا وضحي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه بالبقر وفي رواية أنه نحر عن آل محمد أبقرة فيجوز أن يكون غير ما ذبح عن نسائه ويجوز أن يراد بالأول نساؤه ، وذبح صلى الله عليه وسلم عن عائشة بقرة . وفي رواية أنه ذبح عن اعتمر من نسائه بقرة بينهن ، والمراد بذلك والله أعلم نساؤه سوى عائشة ويكون معنى اعتمر : أحل بعمره وكلهن أحلن بعمره إلا عائشة لمكان حيضها ثم أفردها صلى الله عليه وسلم ببقرة غير هذه على ما ذكرناه

وذكر ابن حزم أنه صلى الله عليه وسلم ضحي في ذلك اليوم بكبشين أملحين ^(١)

(١) تذية أملح وهو الذي اختلط بياضه بسواده

ولا تضاد بينهما فإنه صلى الله عليه وسلم كان إذا عمل عملاً أثبته
وكان صلى الله عليه وسلم يضحى بهما بالمدينة فلما حج ضحى بهما
ولم يكتف بما أهدي من البدن وأمر صلى الله عليه وسلم أن يجتمع
البقر في الهدى فنحروا معه البعير عن سبعة والبقرة عن سبعة

ثم خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه المقدس فقال
للحلاق: خذ وأشار إلى شقه الأيمن فبدأ به فوزعه الشعرة والشعرتين
بين الناس ثم قال بالأيسر: فصنع به كذلك ثم قال: ههنا أبوطلحة؟
فأعطاه أباطلحة، وفي رواية أعطاه أم سليم. وروى الملا أن خالد
ابن الوليد كلبه في ناصيته فدفعها إليه

وحلق بعض أصحابه وقصر بعضهم فدعا للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين
مرة فقال: رحم الله المحلقين قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال:
رحم الله المحلقين قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: رحم الله
المحلقين قالوا: والمقصرين؟ وفي رواية: فلما كانت الرابعة
قال: والمقصرين

وفي رواية أنه دعا لهم بالمغفرة فقال: اللهم اغفر للمحلقين وكرر

ذلك ثم دعا المقصرين وكان أحد الدعائين في حجته : فالله أعلم
أيهما كان ؟

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا رميتم وذبحتم وحلقتم حل لكم
كل شيء إلا النساء ، وحل لكم الثياب والطيب خرج به الدارقطني
فإنه أعلم : هل قال ذلك في حجة الوداع أو في زمن آخر ؟

ووقف صلى الله عليه وسلم بين الجمرات وقال : هذا يوم الحج
الأكبر فطفق صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اشهد وودع الناس
فمن ثم قيل : حجة الوداع وقال صلى الله عليه وسلم : إن أعظم الأيام
عند الله يوم النحر ثم يوم القر ^(١)

وقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست
فطفقن يزدفن إليه ^(٢) بأيتهن يبدأ ؟ فلما وجبت جنوبها ^(٣) قال :
من شاء اقتطع

فيحتمل أن تكون هذه البدنات من الثلاث والستين التي نحرها
بيده يوم النحر ويحتمل أن تكون غيرها

(١) هو الغد من يوم النحر حادى عشر ذى الحجة سمي بذلك لأن الناس
يقرون فيه (٢) أى يقربن منه (٣) أى سقطت إلى الأرض

وقال صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس أى يوم هذا ؟ قالوا :
يوم حرام . قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام . قال : فأى شهر
هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم
عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا فأعادها
مرارا ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت ؟ قال ابن عباس :
فوالذى نفسى بيده إنها لو وصية إلى أمتيه فليبلغ الشاهد الغائب
لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض !!

وروى أبو ذر عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله
عليه وسلم خطب يوم النحر وكان مما قال : صدق الله وعده ونصر
عبيده وهزم الأحزاب وحده ثم قال : ألا كل مأثرة ^(١) كانت فى
الجاهلية من دم ومال تذكر أو تدعى تحت قدمى هاتين إلا سدانة
البيت ^(٢) وسقاية الحاج ، ألا : وإن قتل الخطأ شبه العمد ما كان
بالسوط والعصا مائة من الإبل منها أربعون خلفه ^(٣) أولاده فى بطونها

(١) مأثر العرب : مكارمها ومفاخرها التى تؤثر عنها أى تروى وتذكر
واحدها مأثرة (٢) سدانة البيت : خدمته وتولى أمره وفتح بابه وإغلاقه
(٣) الخلفة « بفتح الخاء وكسر اللام » : الناقة الحامل

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس منازلهم فقال : لينزل المهاجرون ههنا وأشار إلى ميمنة القبلة والأنصار ههنا وأشار إلى الميسرة ثم لينزل الناس حوالهم

وفي رواية أنه أمر المهاجرين أن ينزلوا في مقدم المسجد والأنصار أن ينزلوا وراء المسجد ، وقيل له : يا رسول الله ألا نبني لك بناء يظلك بمنى ؟ قال لا ، منى مناخ من سبق

ووقف صلى الله عليه وسلم بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل فقال : يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح ؟ فقال : اذبح ولا حرج ثم جاءه آخر فقال : يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي ؟ فقال : ارم ولا حرج ، فاسأل صلى الله عليه وسلم عن شيء قدم ولا آخر إلا قال : افعل ولا حرج

وفي بعض الطرق قيل له : زرت قبل أن أرمي ؟ قال : لا حرج رميت بعد ما أمسيت ؟ قال : لا حرج

وقال الدار قطنى وأبو ذر فى منسكه : فمن قاتل : يا رسول الله سعيت قبل أن أطوف ؟ وأخرت شيئاً وقدمت شيئاً وكان يقول :

لا حرج لا حرج إلا على رجل اقترض عرض رجل مسلم^(١) فذلك
الذي حرج وهلك !!

ولعل هذا السائل سعى مع طواف القدوم فيكون سعيه قبل
طواف الزيارة

وهذا كله كان بمنى والله أعلم بوقت كل قضية وإن كان وقت بعض
القضايا يدل سياق لفظه عليه كأنزال الناس منازلهم فإنه يكون يوم
النحر والظاهر كونه قبل النحر لاحتياج الناس إلى ذلك أيضاً وإن
كان قول من قال : رميت بعد ما أمسيت يدل على أنه بعده أو في
ليلة يوم النحر ولعل الوقوف تكرر وهو الظاهر والله أعلم

ثم ركب صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت بعد ما طيبته عائشة
رضي الله عنها بأطيب ما وجدت ، وفي رواية بذرير وذلك يوم السبت
المذكور على الأصح وطاف صلى الله عليه وسلم فيه طواف الإفاضة
ويسمى طواف الزيارة وطواف الصدر وذلك قبل الظهر وصلى
الظهر بمسكة رواه جابر ، وروى ابن عمر : أنه أفاض ثم رجع فصلى
الظهر بمنى وروت عائشة أنه صلى الله عليه وسلم آخر طواف الزيارة

(١) اقترض عرض رجل مسلم : أى نال منه وقطعه بالغيبة

إلى الليل خرجه الترمذى وروى أنه أفاض من آخر يومه حين صلى الظهر خرجه أبوداود وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة بمنى ثم ركب إلى البيت فطاف به خرجه ابن حبان. وروى الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم أفاض مع نسائه ليلاً في مساء يوم النحر وأمر أصحابه فأفاضوا نهاراً ولعله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمنى ثم أدرك جماعة بمكة من أصحابه لم يصلوا فصلى بهم، ثم صلى العصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة بمنى ثم ركب إلى البيت فطاف به وخرج البخارى والبخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت أيام منى فلعل زيارته تلك المرة وقعت ليلاً أو لعل اختلاف الروايات في وقت صلاته نشأ من تكرار زيارته في تلك الأيام ومعنى الإفاضة : الدفع بكثرة ولم يتطابقوا كلهم على أنه كان ذلك يوم النحر ولم يرمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في السبع الذي أفاض فيه

وصح أنه صلى الله عليه وسلم طاف في حجة الوداع راكباً على راحلته يستلم الركن بمحجنه^(١) ويقبل طرف المحجن وقالت عائشة

(١) المحجن « بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم عصا منحنية الرأس

رضى الله عنها كراهية أن يصرف الناس عنه

والظاهر أنه كان في طواف الإفاضة لا القدوم . ويجوز أن يكون في طواف غيرها إلا أن الظاهر ما ذكرناه فإنه قرن بالسعي في بعض الطرق فحمل على ما شاركه في الركنية ويكون ركوبه في السعي على ما تقدم ذكره

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشتكي وطاف على راحلته كلما أتى الركن استلمه بمحجن فلما فرغ من طوافه أناخ راحلته فصلى ركعتين

ويشبه أن يكون هذا في غير حجة الوداع فإنه لم ينقل أنه كان يشتكي فيها صلى الله عليه وسلم وأن ركوبه فيها إنما كان لما تقدم ذكره من أن الناس غشوه وكان يكره أن يضرب الناس بين يديه وليسأل عن مناسك الحج

وأفاضت أم سلمة في ذلك اليوم وذكر ابن حزم أنها طافت في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس وهي شاكية ، وعند البخاري أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج ولم تكن أم سلمة رضي الله عنها طافت بالبيت وأرادت الخروج فقال لها رسول الله صلى الله

عليه وسلم : إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون ففعلته ولم تصل حتى خرجت

ولا يجوز أن يكون ذلك يوم النحر فإنهم لم يصلوا الصبح فيه بمسكة ويجوز أن يكون المراد به طواف الوداع وتكون شكائتها دامت إلى وقت القفول ولا تضاد

ومن أفاض معه ذلك اليوم عائشة رضي الله عنها وفيه طهرت من حيضتها وصفية وحاضت بعد ليلة النفر^(١)

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الطواف سقاية بنى عبد المطلب فاستقى فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها ، فقال : اسقني فقال : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ، وفي رواية فقال : إن هذا شراب قد مغث ومرث : أي نالته الأيدي وخالطته قال : اسقني ، وفي رواية : فلا تبرك بأ كف المسلمين فشرب منه

وفي رواية : أنه أتى السقاية فاستقى فأتوه بإناء من نبيذ^(٢) فشرب

(١) أي الدفع من منى (٢) النبيذ : ما يعمل من الأشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك

وسقى فضلته أسامة وقال: أحستم وأجلمتم كذا فاصنعوا

ثم أتى صلى الله عليه وسلم زمزم وهم يسقون فقال: انزعوا بنى عبد المطلب فلولاً أن تغلبكم على الناس سقايتكم. انزعت معكم ووضعت الحبل على هذه وأشار إلى عاتقه فناولوه دلواً فشرب منه وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم دخل البيت وجعل عمودين عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه ثم صلى وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة

وروى عكس ذلك وهو الأظهر لأنه روى أنه صلى الله عليه وسلم صلى بين العمودين المتقدمين اليمينيين وبين العمودين تلقاء وجهه وبين العمودين المتقدمين وباب البيت أقرب إلى جهة اليمين فإذا دخل منه وصلى تلقاء وجهه بين العمودين المتقدمين اليمينيين فقد جعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره ثم خرج صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين في وجه الكعبة

وجاء أنه أيضاً صلى الله عليه وسلم دخل البيت ولم يصل فيه بل مضى حتى إذا كان بين لأسطوانتين اللتين تليان باب الكعبة جلس فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ثم قام حتى أتى ما استقبل

من دبر الكعبة فجعل وجهه وخده عليه فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ثم انصرف إلى كل ركن من أركان الكعبة فاستقبله بالتكبير والتهليل والتسبيح والثناء على الله تعالى والمسئلة والاستغفار ثم خرج فصلى ركعتين مستقبلاً وجه الكعبة خلف المقام ثم انصرف فقال : هذه القبلة هذه القبلة وأجاف صلى الله عليه وسلم الباب ^(١) في الدخلتين جميعاً

ورجع صلى الله عليه وسلم إلى عائشة بعد إحدى الدخلتين كثيراً ^(٢) بعد أن خرج من عندها مسروراً فقال : إني دخلت الكعبة ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما دخلتها إني لأخاف أن أكون شققت على أمتي !!

قال ابن حبان : والأشبه أن يحمل ذلك على دخولين متغيرين أحدهما يوم الفتح وصلى فيه والآخر في حجة الوداع ولم يصل فيه وجاء أنه لما خرج من دخلته التي كانت يوم الفتح استلم هو وأصحابه البيت من الباب إلى الحطيم ^(٣) ووضعوا خدودهم على البيت ورسول الله

(١) أى : رده عليه (٢) الكتابة : الحزن الشديد

(٣) الحطيم : ما بين الحجر الأسود والمقام وزعم والحجر ، سمي حطيماً لأن

(٥ - حجة المصطفى)

صلى الله عليه وسلم وسطهم فالله أعلم : هل فعل ذلك في حجة الوداع أم لا ؟

وقالت عائشة رضى الله عنها : كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأدخلني الحجر^(١) فقال : صلى في الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت فإن قومك اقتصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت فالله أعلم : هل قال لها ذلك في حجة الوداع أم في زمن آخر ؟ على أنه لم ينقل أنها كانت معه ثم في غير حجة الوداع ثم رجع صلى الله عليه وسلم من آخر يوم إلى منى فمكث بها باقى

الناس يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضا

(١) الحجر « بكسر الحاء وسكون الجيم » قال النووي : الحجر عرصة ملصقة بالكعبة منقوشة على صورة نصف دائرة وعاليه جدار وارتفاع الجدار من الأرض نحو ستة أذرع وعرضه نحو خمسة أشبار وللجدار طرفان ينتهى أحدهما إلى ركن البيت العراقى والآخر إلى الركن الشامى وبين كل واحد من الطرفين وبين الركن فتحة يدخل منها إلى الحجر وتدورة الحجر تسع وثلاثون ذراعا وشبر وطول الحجر من الشاذروان الملتصق بالكعبة إلى الجدار المقابل له من الحجر أربع وثلاثون قدما ونصف قدم وما بين الفتحتين أربعون قدما إلا نصف قدم وميزاب البيت يضرب فيه

يوم النحر وليلة القرّ ويومه وليلة يوم النفر الأول^(١) ويومه وليلة
يوم النفر الثاني ويومه يوم النحر وثلاثة أيام بعده بلياليهن

وهذه أيام التشريق وأيام منى وهى المشار إليها فى قوله صلى الله
عليه وسلم : « إن يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل
الاسلام وهى أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وفى رواية :
« وبعلال » إلا أنه لم يذكر فيها يوم عرفة . والبعلال : النكاح
وأقام صلى الله عليه وسلم بها يأتى الجرات الثلاث كل يوم ماشيا
ذاهبا وراجعا إذا زالت الشمس يرمى كل جمرة بسبع حصيات
يكبر مع كل حصاة يبدأ بالدنيا التى تلى مسجد الخيف^(٢) وتلى المنحر
منحر منى ثم يتقدم أمامها فيقوم مستقبل القبلة قياما طويلا فيدعو
ويرفع يديه ويتضرع^(٣) ثم يرمى الجمرة الوسطى كذلك ثم ينحدر ذات
الشمال فيقوم مستقبل القبلة قياما طويلا فيدعو ويرفع يديه ويتضرع

(١) يوم النفر الأول : اليوم الثانى من أيام التشريق . والنفر الثانى : اليوم الثالث

(٢) الخيف : ما ارتفع من الوادى قليلا من مسيل الماء ومنه مسجد الخيف

بنى لانه بنى فى خيف الجبل ولا يكون خيف إلا بين جبلين

(٣) يتضرع : أى يدعو الله تبارك وتعالى ويبتهل إليه

ثم يرمى الجمرة ذات العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها
قال ابن حزم وخطب صلى الله عليه وسلم يوم الأحد ثاني يوم
النحر وهو يوم الرؤوس

وروت سراء بنت نهران وكانت ربة بيت في الجاهلية قالت :
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الرؤوس فقال : أى يوم
هذا ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم قال : أليس أوسط أيام التشريق ؟

ولعله صلى الله عليه وسلم أراد بالأوسط الأفضل فقد تقدم أن
أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر وقال تعالى : (وكذلك
جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا عدولا وهذا هو الظاهر فإنهم يأكلون
لحوم الهدايا يوم النحر والرؤوس يوم الثانى ولا تبقى الرؤوس ثلاثة
أيام إلا وتتغير غالباً ولا تضاد بين قوليهما

قال ابن حزم : وروى أنه صلى الله عليه وسلم خطب يوم الاثنين
وهو يوم الأكارع وأوصى بنى الأرحام خيرا وأن لا تجنى
نفس على أخرى !!

وصلى صلى الله عليه وسلم الصبح بمسجد الخيف فى بعض تلك

الأيام فلما قضى صلاته انحرف فإذا هو برجلين في آخر القوم لم يصليا معه فقال لهما : ما منعكما أن تصليا معنا ؟ قالا : إنا كنا صلينا في رحالنا فقال : إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم فإنها لكما نافلة

واستأذن عمه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أن يبيت بمكة ليالى أيام منى من أجل سقايته فأذن له وأرخص صلى الله عليه وسلم لرعاء الإبل في البيوتة ^(١) يجمعون رمى يومين بعد يوم النحر فيرمونه في أحدها

وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى والناس أكثر ما كانوا ركعتين وصلى معه حارثة بن وهب الخزاعى أخو عبد الله بن عمر لأمه ودارهم بمكة

ثم نهض صلى الله عليه وسلم بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء المؤرخ وهو آخر أيام التشريق إلى المحصب ^(٢) وهو الأبطح

(١) أى البيات خارج منى عند الإبل (٢) المحصب وهو بيم مضمومة ثم صاد مشددة مهملتين مفتوحتين ثم باء موحدة : اسم لما كان متسع بين مكة ومنى وسمى بالمحصب لاجتماع الحصباء فيه وهو الحصى الصغار والخيف : الوادى

بعد أن قال لهم بنى قبله بيوم : نحن نازلون غداً بخيف بنى كنانة
يعنى بذلك المحصب وضرب أبو رافع قبتة به وكان على ثقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال : لم يأمرنى صلى الله عليه وسلم أن أنزل
الأبطح حين خرج من منى ، ولكن جئت فضربت قبتة فجاء فنزل
ولا تضاد بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم : « نحن نازلون
غداً بخيف بنى كنانة » إذ يجوز أن يكون أبو رافع سمع ذلك الكلام
منه فاعتمده وليس ذلك بأمر ولم يحدث له بعد ذلك أمراً

وحاضت صفية ليلة النفر وقد كان صلى الله عليه وسلم أراد منها
بعض ما يريده الرجل من أهله؟ فقالوا : إنها حائض يا رسول الله قال :
وإنها لحابستنا قالوا : يا رسول الله إنها قد زارت يوم النحر قال :
فلتنفر معكم

وصلى صلى الله عليه وسلم بالمحصب الظهر والعصر والمغرب
والعشاء ثم رقد رقدة من ليلة الأربعاء رابع عشر ذى الحجة
وقالت له عائشة تلك الليلة : يا رسول الله يرجع الناس بحج وعمره
وأرجع بحجة وقد قال لها ما طافت بالبيت وبالصفاء المروءة حللت من

حجبتك وعمرتك جميعا ويسعك طوافك لحجك وعمرتك فقالت له
يا رسول الله : إني أجد في نفسي أنى لم أطف بالبيت حين حجبت
وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا إذا هويت الشئ تابعها عليه
فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن أبي بكر أن يعمرها
قال له : أردف أختك فإذا هبطت بها من أكمة التنعيم^(١) فأهلا
وذلك ليلة الصدر . وفي رواية : « فإذا هبطت من الأكمة الحمراء »
وفي رواية : « فإذا هبطت بها واديا فأعمرها فإنها عمرة مقبلة قالت :
فإني لا أذكر وأنا جارية حديثة السن أنعس فيصيب وجهي مؤخرة
الرحل حتى جئنا إلى التنعيم فأهملت منها بعمرة جزاء لعمرة الناس
التي اعتمروا

وانتظرها صلى الله عليه وسلم في منزله بالمحصب حتى قضت عمرتها
في جوف الليل فقال : فرغتما ؟ قالت : نعم فقال صلى الله عليه وسلم
هذه مكان عمرتك

(١) التنعيم : بفتح الناء : هو عند طرف مكة من جهة المدينة والشام على
ثلاثة أميال من مكة ، سمي بذلك لأن عن يمينه جبلا يقال له نعيم وعن شماله
جبلا يقال له ناعم والوادي نعمان

وذكرت أنها التقت بالنبي صلى الله عليه وسلم في طريقها وهو
مصعد من مكة وهي منهبطة عليها أو هي مصعدة وهو منهبط منها ،
وسأني أنه صلى الله عليه وسلم أذن بالرحيل بعد مجيئها وفراغها
وطاف للوداع بعد ذلك ولعله صلى الله عليه وسلم طاف تلك الليلة
مرتين مرة بعد أن بعثها وقبل فراغها ومرة بعد فراغها للوداع ،
أو يكون هذا اللقاء حين انتقل من المحصب إلى ظهر العقبة خوف
الاقتداء به في نزول البطحاء روى ذلك عبد الرزاق في مصنفه
حكاه عنه عياض

ثم أذن صلى الله عليه وسلم في أصحابه بالرحيل فخرج فتر بالبيت
فطاف به قبل صلاة الصبح للوداع ولم يرمل في شيء منه وقال
صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده
بالبيت إلا أنه خفف عن الحائض ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
وذكر ابن حزم أنه رجع بعد خروجه من أسفل مكة إلى المحصب
وأمر بالرحيل ومضى إلى المدينة من فوره

وقد رأيت في بعض تعاليقه وذكره بعض المؤلفين مسنداً

عنه أنه فعل ذلك ليسكون كالمخلق مسكة بدائرة في دخوله وخروجه فإنه بات بنى طوى ثم دخل من أعلى مكة ثم خرج من أسفلها ثم رجع إلى المحصب ويكون هذا الرجوع من يمانى مكة حتى تحصل الدائرة فإنه صلى الله عليه وسلم لما جاء نزل بنى طوى ثم أتى مكة من كذا ثم نزل به لمافرغ من الطواف ثم لمافرغ من جميع النسك نزل به ثم خرج من أسفل مكة وأخذ من يمينها حتى أتى المحصب ويحمل أمره بالرحيل ثانيا على أنه لقي في رجوعه ذلك إلى المحصب قوما لم يرحلوا فأمرهم بالرحيل وتوجه من فوره حيثنذ إلى المدينة^(١)

(١) قال الإمام ابن قيم الجوزية : ولقد شان نفسه وكتابه بهذا الهذيان البارد السمع الذى يضحك منه ولولا التنبيه على أغلاط من غلط عليه صلى الله عليه وسلم لرغبنا عن ذكر مثل هذا الكلام والذى كأنك تراه من فعله صلى الله عليه وسلم أنه نزل المحصب وصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورفد رقدة ثم نهض إلى مكة وطاف بها طواف الوداع ليلا ثم خرج من أسفلها إلى المدينة ولم يرجع إلى المحصب ولا دار دائرة في صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورفد رقدة بالمحصب ثم ركب إلى البيت وطاف به وفي الصحيحين : البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث قالت حين قضى الله الحج ونفرنا من منى فنزلنا بالمحصب فدعا

وكانت مدة إقامته صلى الله عليه وسلم منذ دخلها إلى أن خرج منها إلى منى ثم عرفة ثم مزدلفة ثم منى ثم إلى المحصب إلى أن توجه راجعا عشرة أيام أولها الأحد رابع ذى الحجة وآخرها الثلاثاء ثالث عشرها

فلما أتى صلى الله عليه وسلم في مرجعه الروحاء لقي ركباً فقال : من القوم ؟ فقالوا : المسلمون فقالوا : ومن أنت ؟ فقال : رسول الله ففزعت امرأة فأخذت بعضدى صبي^(١) فأخرجته من محبتها فقالت : ألهذا حج ؟ قال : نعم ولك أجر

عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له : خرج بأختك من الحرم ثم أفرغنا من طوافكما ثم اتيناها هنا بالمحصب قالت : فقضى الله العمرة وفرغنا من طوافنا في جوف الليل فأتيناه بالمحصب فقال : فرغنا قلنا : نعم فأذن في الناس بالرحيل فر بالبيت فطاف به ثم ارتحل متوجها إلى المدينة . فهذا من أصح حديث على وجه الأرض وأدله على فساد ما ذكره ابن حزم وغيره من تلك التقديرات التي لم يقع شيء منها ودليل على أن الحديث الأسود غير محفوظ وإن كان محفوظاً فلا وجه له غير ما ذكرنا وبالله التوفيق

(١) العضد : ما بين المرفق إلى الكتف ، والمخفة « بالكسر » : مركب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها لا تقبب كما تقبب الهودج

وذكر لي بعض أهل العلم والاطلاع: أن هذا السؤال وقع من ثلاث نسوة في ثلاثة مواطن أحدها بعرفة

وخرج ابن السراج أبو عبد الله محمد بن إبراهيم عن جابر قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسير بعرفة فأخرجت امرأة صبياً لها من هودج لها فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر

وذكر ابن حبان أن الذي كان بالروحاء كان في مرجعه كما ذكرناه فلما أتى صلى الله عليه وسلم ذا الحليفة بات بها ثم لما رأى المدينة كبر ثلاثاً وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آييون^(١) تائبون عابدون ساجدون صدق

(١) آييون: أي راجعون تائبون إلى الله تعالى صدق الله وعده أي في قوله تبارك وتعالى: لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محققين رؤسكم ومقصرين لاتخافون» ونصر عبده يريد نفسه صلوات الله وسلامه عليه وإنما قال عبده ليشير إلى أن نصر الله تعالى إنما يكون بالعبودية لله والامتثال لأمره وهزم الأحزاب: الأحزاب: هم الأحزاب الذين تحزبوا يوم الخندق بقوله صلى الله عليه وسلم وهزم الأحزاب وحده أي من غير قتال ونزال فقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا لم تروها

الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده

ثم دخل صلى الله عليه وسلم نهراً من طريق المعترس . قال أبو سعد
وأقام بالمدينة إلى أن مات لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول
فكان بين خروجه من مكة ووفاته ثمانون ليلة صلى الله عليه
وسلم والله أعلم

هذا آخر ما تيسر من تلخيص صفة حجته صلى الله عليه وسلم
ولله الحمد والمنة

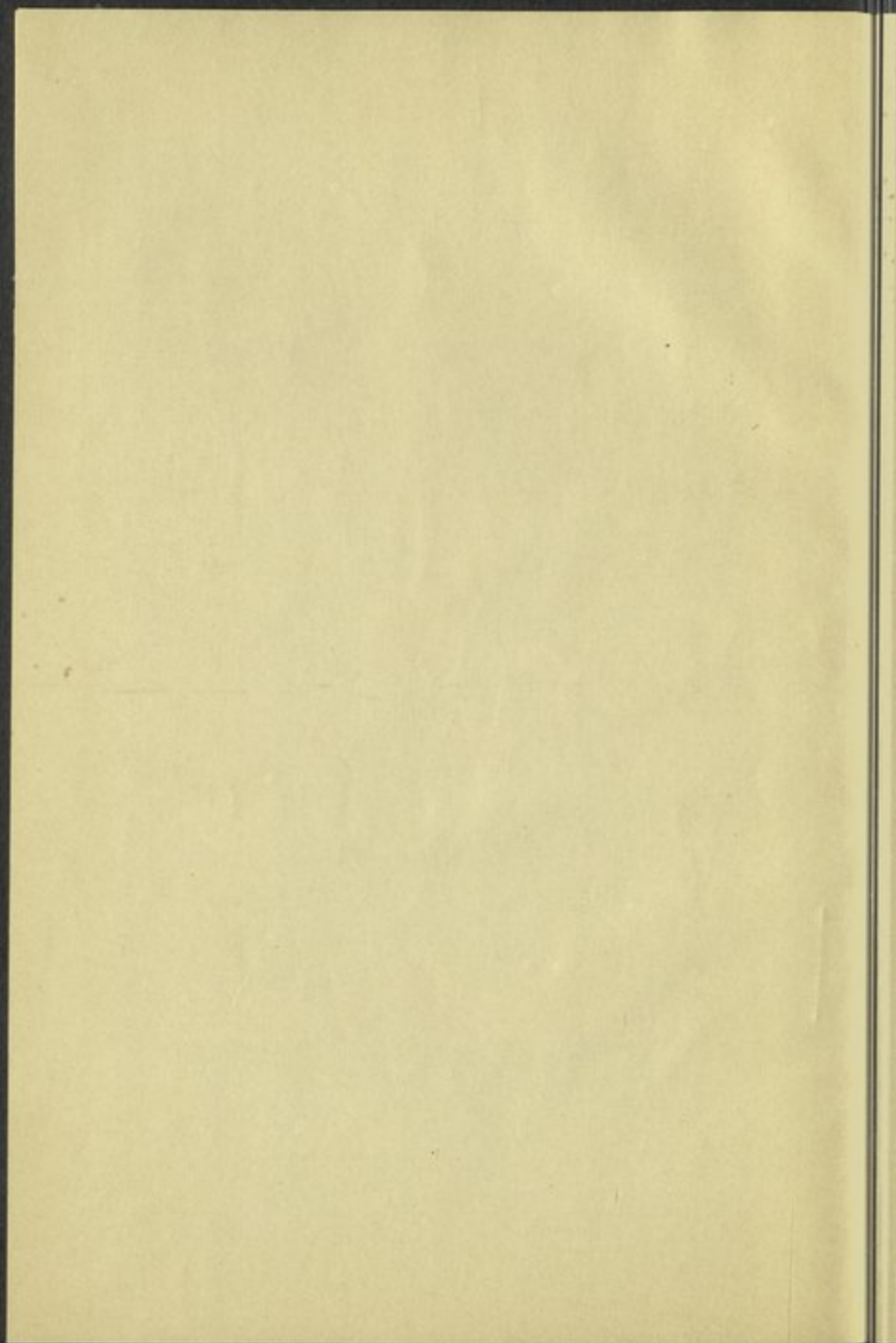


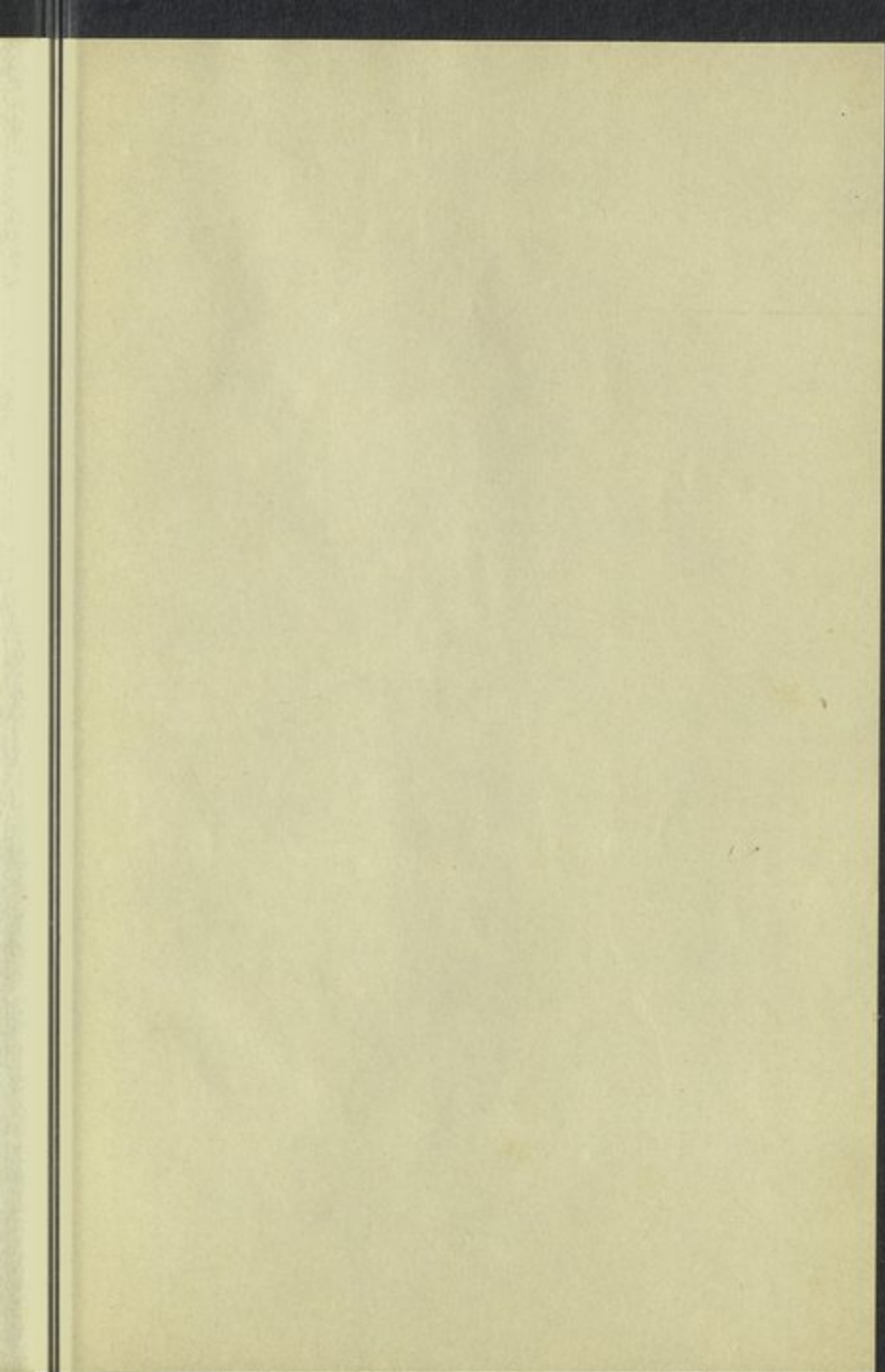
سنن النسائي

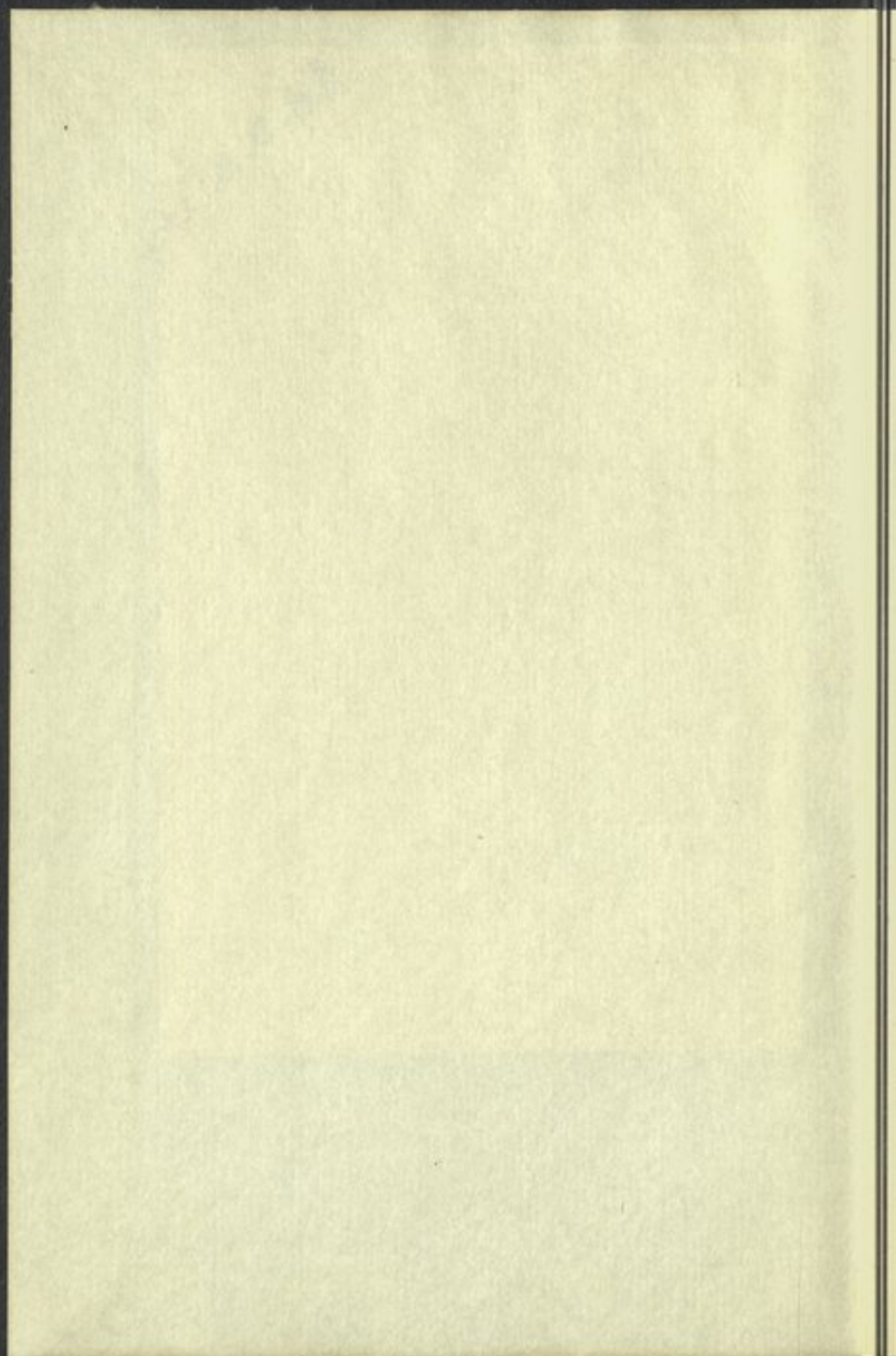
كتاب السنن للنسائي من الكتب الستة الصحاح في الحديث
وهي التي لم يطرق إليها الشك ولم تصل إليها يد الوضع . فهو
مصدر من مصادر الشريعة السمحة وأصل من أصولها المتينة
القيمة ، ويكفي أن يكون شارحه الحافظ جلال الدين
السيوطي وحاشيته للإمام السندی وكلاهما ثقة في رأيه ،
إمام في علمه ، وهو ثمانية أجزاء عدد صفحات كل جزء
٢٥٠ صفحة قطع كبير مشكول شكلا كاملا

وثنمه ١٠٠ قرش

وكان الفراغ من طبع هذا الكتاب في يوم الاثنين
الموافق ٢٥ جمادى الثانية من سنة ١٣٥٤ هجرية
و ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٥ ميلادية







DATE DUE

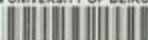
A.U.B. LIBRARY

297.63:T112huA:c.1

رضوان، رضوان محمد

حجة المصطفى

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01011617

297.63:T112huA

الطبري *

حجة المصطفى *

DATE	Borrower's	DATE	Borrower's Number
------	------------	------	----------------------

297.63
T112huA

